الحب فوق مقابر الملوك

الحب
فوق مقابر الملوك

رواية

نجلاء فتحي

اسم الكتاب: الحب فوق مقابر الملوك
اسم الكاتب: نجلاء فتحي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: عمرو علاء
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 2068

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

يصحبنا الموت، ويصير صديقًا وفيًا جدًا، ويصير رفيق الدرب بعد أن يأخذ منا أعز ما نملك؛ فالموت هو أبشع حقيقة خلقت بهذه الأرض، والحق المميت.

وعندما يأتي ليأخذ من بيننا مَن كانوا يملكون السعادة بالعمر، ويملكون الحياة بالحياة، يأخذ معه أرواحنا بجوارهم هناك إلى العالم الآخر، وما أشد انتكاستنا عندما نفقد عزيزًا علينا؛ نموت على قيد الحياة، ولا نعلم إلى أين يذهب بنا العمر؟! إلى أين يذهب بنا الموت بعد موتهم؟!

ويسيطر علينا التفكير السلبي بعد موت الأقربين، ونعيش على يأس يسيطر علينا للحد الذي لا حد له، ونبحث عن المفقودين منا، وعن التائهين بيننا، وعن الحاضرين الغائبين، نبحث عنهم في كل مكان، وفي كل درب، وفي وجوهنا وحياتنا وعملنا وذكرياتنا، وفي زهور الياسمين، نبحث ونريد أي شيء يساعدنا على أن نخرج من هذا العذاب.

وكما قال أحدهم:

"فالذي مات نجا، والذي ما زال... ما زال يموت"

فالمفقود والغائب عنا يموت مرة واحدة في عمره، أما الحزين الولهان والمعذب بالفراق يموت كل يوم، وكل ثانية، بل كل لحظة، يموت عندما يتذكر الأيام والأحلام التي كانوا يبنوها معًا، والذكريات التي دارت بينه وبينهم، والوعود والآمال، ويتمنى أن يعيش للحظة أخرى معهم؛ ففي شارع الدنيا الكثير من الذكريات التي تذكرنا بالماضي بيننا وبين أحبابنا، نتألم ويتألمون من أجلنا؛ فهناك الذين ما زالوا على قيد الحياة، يتعذبون برؤيتنا، ونحن نتعذب دائمًا حولهم على فراق الغير، ولكن للأسف كما قيل من قبل: "ما باليد حيلة".

أمٌّ لا تستطيع فعل أي شيء سوى أن تسهر الليالي، وتناجي الله أن ينجي ولدها مما أصابه في حياته، وأخ ما بيده غير البحث عن أي وسيلة يسعده بها، وقدر يطارده في شتى الطرق، وبشتى السبل؛ كي يرسم الحزن على وجهه دون أن يعلم، ودون أن يستريح، وحلم يتحول إلى كابوس لا يعلم إلى أين يصل به، وإشارات لا يعلم من أين أتت وكيف أتت ومِن مَن؟!

وحبال من الآمال مرخية على وشك الانقطاع، وأفكار مشتتة، وأحلام مهدمة، وعالم آخر يريد بناء ما أفسده الموت، يريد بناء الأحلام

التي تم هدمها من الموت، يريد بناء أشخاصٍ جدد، وحياةٍ جديدةٍ، وآمالٍ جديدةٍ، وعمرٍ جديدٍ بعد الموت، ولكن لا نتذكر جميعًا أن.... لله الأمر.

لم تكن السعادة والحزن في حياتنا شيئًا استثنائيًا، ولكنه يمر علينا كل يوم ومعه بعض الأشياء التي تلعب دور البطولة في حياتنا، نعيش بها وتعيش فينا وتراود أحلامنا.

وكل منا يصنع من هذا الحلم قصة جميلة، أو حالة من الحزن نعيش بداخلها، والقدر هنا يلعب معنا كل مرة بشكل مختلف، البعض منا يفسر السعادة من وجهة نظره ومن الممكن أن تكون وجهة نظر خاطئة لا تسعد الآخرين، والحزن كذلك.

ما نشعر به ويحزننا لا يحزن شخصًا آخر؛ فهو شيء فلسفي ينطبق على كل الحالات؛ ففي العصور القديمة فقد قيس حياته من أجل حبه لليلى، فهل يحدث ذلك في عصرنا أن نفقد الحياة من أجل الحب؟!

هل من الممكن أن يشعر الإنسان بضياع وفقدان الحياة من أجل شخص آخر؟! هل ترتبط السعادة والحياة بأرواح أخرى؟ تسكن بداخلنا لكي تلهينا الحياة، والسعادة تسحر قلوبنا وتكون طوق نجاة من الغرق وتبعدنا عن الموت، تسحبنا الروح الأبدية التي تحلق بنا في سماء عالم آخر تسعد به ونعيش في طياته إلى أن نستعيد به الحياة.

وهذا ما أشعر به، تملكني إلى أن صرت أسبح في عالم الحب وأرسم نجومًا تنير حياتي بضوئها، أعيش معه في حلم مستمر يبهرني أحيانًا ويسعدني في بعض الحالات، ودائمًا أتخيل نفسي وكأنني في مملكة من ممالك الأساطير القديمة حلم يراودني من سنوات أن أرى الأميرة الجميلة، وهي تطل عليّ كالبدر من شرفتها تضيء حياتي وتغزل بنورها وبجدائلها ورد الحب والرياحين.

وكنت دائمًا أبحث عنها في كل مكان وبداخل أحلامي وهنا وأنا أرى القمر في ليلة البدر، وهو يخرج من بيت عمي أمام منزلنا القديم.

وصار ضوءه يخطف الأبصار معه ولم أعلم هل هو حقيقة أم حلم يراودني من سنوات أتمسك به إلى أن صار حقيقة؟!

وصرت أترقب القمر إلى أن غادرت الشارع كله وبعدها أظلمت حياتي وصرت أبحث عن الحلم.

ولكن أسرعت إلى منزل عمي؛ لكي أسأل عن الحلم الذي خطف حياتي، وتملك قلبي من أول نظرة، وعلقت روحي به، ودخلت منزل عمي وأنا في حالة من التيه.

"سارة القمر"

اسمها سارة وهي مهندسة معمارية، يعني زميلة يا ابن العم من الممكن أن تعمل معها شراكة.

هكذا كانت إجابة "سها" ابنة عمي عندما سألت عن سارة.

وأتذكر يومها سألت سها: هل تعرفيها من زمن بعيد؟

فقالت سها:

- لا يا فريد دي صديقة ليّا من فترة قصيرة؟

ولم أتمالك نفسي لكي أعلم كل شيء عنها مَن هي ومن أين، وأعلم من هي التي أضاءت الدنيا من حولي وسحرتني بنورها وصرت أبحث عنها كالمجذوب.

ونظرت ابنة عمي "سها" في عيني وقالت لي وهي تبتسم:

- إنها ابنة طبيب يسكن بالقرب منا، وهي ولدت في انجلترا من أم انجليزية، وبعد وفاتها انتقلت مع أبيها إلى هنا؛ لكى يكمل حياته في بلده بعد أن فقد زوجته التي كان يقيم هناك من أجلها.

وسارة بنت جميلة ورقيقه ومتفتحة كأنها عصفور الجنة بكل المعاني الجميلة، وأيضآ هى عاشقة للموسيقى، وكل فترة تقيم حفلًا كبيرًا، وتدعو كل الأصدقاء والبعض من الجيران المقربين لها.

ومن هنا تعرفت أنا عليها فى إحدى هذه الحفلات، وبعدها صرنا أصدقاء، كما ترى تجئ إليّ وأذهب إليها.

وبعدها صمتت سها لبرهة من الوقت وهي تنظر في وجهي لكي ترى حالة الولع والتيه الذى كنت أنا فيها، والتي لم ترها في عيوني من قبل.

وأشارت إلى وجهي بأصبعها، وهي تعلق على هذه النظرة وحالة الولع التى تتملكني:

- ماذا حدث لك يا ابن العم؟! هل عشقت الانجليزي من أول نظرة وأنت من كنت تبحث عن الأميرة فى كل أحلامك؟! هل وجدتها؟ ماذا حدث لك يا فريد؟ هل سارة هى أميرة الأحلام التى طال انتظارها؟! تركت الجميع وتعلق قلبك بالانجليزي، يا لك من أحمق.

وأسرعت سها من أمامي وأسرعت وراءها، ولكن جاء عمي وأنقذها من يدي وهو يضحك عليّ.

الآن الجميع كان يعتقد من كثرة الشجار والمزاح والكلام مع سها بأني متعلق بها، وسأرتبط أنا وهي قريبًا، ولا يعلم الجميع أن سها أختي التي لم تنجبها أمي؛ لأنني لم يكن لي سوى أخ واحد "نبيل".

ورجعت إلى منزلي ولم أرِد أن أسمع ولا أرى شيئًا سواها، وظللت طوال الليل أراها أمامي، بنورها الذي خطف بصري وحياتي.

وبعد فترة من الوقت جاءت إليّ ابنة عمي "سها" لكي تعزمني معها على حفل عند البدر، وهي تقول لي:

من أجل أن أجلب السعادة إلى قلبك، وهذا كل ما أتمناه يا فريد.

وعلمت من ذلك الوقت أن سها تحبني وتفعل كل ما بوسعها لإسعادي، وهي تتألم؛ لكي تجلب لي السعادة.

وكنت أنا الآخر أتألم دائمًا من نظرة سها لي، وأسأل نفسي: هل سعادتي تساوي تعاسة شخص آخر؟!

كانت عيوني تشع من السعادة عندما أرى سارة، ولكن كان قلبي يعتصر من الحزن عندما أرى الألم فى عيون سها أختي وصديقتي الوحيدة.

التي لم أعلم أنها مغرمة بي كل هذا الوقت، وقلبي يبحث عن الحب بعيدًا عنها، ولم أشعر بها.

أما سارة فكانت كالموج الذى اجتاح الشاطئ وأغرقني بداخله دون أي إنذار، والأغرب أنني سعيد بذلك.

وبعدها عزمتني معها سها وذهبنا إلى منزل الدكتور عصام محي الدين -والد سارة- وعندما دخلت سمعت صوت الموسيقى، أخذني وسحرتني روعة الأنغام، وإبداع سارة في العزف على البيانو، رأيت وكأنها فراشة تطير مع الأنغام، وقلبي يهفو، ورأيتها، ولم أرَ أحدًا غيرها طوال الحفلة.

وعرفتني عليها سها، وأمسكت يدها ودخلنا الشرفة، وحكيت لها قصة الأميرة التي انتظرتها من زمن بعيد.

وكانت منبهرة بي وبالكلمات التي أخذتها معي في عالم الخيال، وتملكتني وتملكتها من أول لحظة، وتعلق قلبي وقلبها بالحب.

وصرت أغرق فى زرقاء العيون، وأرتوي من نهرهما كأني صحراء لا تشبع أبدًا.

وبعد هذه الحفلة، وكما علمت سارة بتعلقي وحبي لها من أول نظرة، حاولت أن أداوي جرح سها الذي يكمن في قلبها، وأنا السبب فيه، ولكن حبي لسارة كان بركانًا يغلي وينثر حممه ويراه القاصي والداني.

ولم أتمكن من علاج سها، بل يزداد الألم كلما رأتني مع سارة في كل مكان، والحب والسعادة يملئان قلبينا.

ولكن الأغرب أن سها كانت تحاول أن تظهر عكس ذلك، وتكون مرحة معنا طوال الوقت؛ لكي لا أشعر بها، ولا أتألم من أجلها.

كنت أراها تعامل سارة كأخت لها؛ لكي تسعدني، كما كانت تقول دائمًا، وكنت أرى سعادة سارة متعلقة بوجودها عند النهر، ودائمًا تحكي لي أنها كانت تعيش فى بيت من بيوت الريف الانجليزي على ضفاف النهر، وهي تعشق صوت النهر وهدير المياه ورائحة البيت الخشبي المعطر بروائح -كما كانت تقول- تتملك القلب وتأخذه إلى عالم الخيال.

ودائمًا كنت أحاول العيش معها في خضم هذا الحلم، الذي يكتمل برائحة زهرة الياسمين التي تملأ المكان، والتى تشبه رائحة سارة؛ فهي كانت عشقها الأوحد، زهرة الياسمين بعطرها الفواح.

وصرت أتحسس الحلم والحياة في تفاصيل وجهي، وأُروي نشوتي من جمال العينين اللتين صرت أبحر بداخلهما، وأتمنى أن تكون بداخلي طوال الوقت، أخبئها تحت جلدي لكي لا يراها أحد سواي؛ فهي كانت كالبرق يخطف الأبصار، وينير حياتي ولكن بدفء رهيب يشعرني دائمًا بلذة الحياة ونشوة الحب.

وهي طوال الوقت جميلة ممتعة مغرية دائمًا، صوتها حنون، كانت تقول لي بصوت عذب:

- إنني كنت أراك دائمًا في أحلامي، وأشعر بك قريبًا مني، وعندما رأيتك لأول مرة شعرت وكأنني في حلم، ولم أرَ من حولي عندما تشابكت أصابعي في أصابعك، وذهبت معك إلى الشرفة، وسمعت منك حكايات الأميرة، وتخليت وكأنني الأميرة التي سكنت قلبك، وبالفعل سكنت قلبك، وعشقت أميرة الأحلام معك، وتملكتنى جسدًا، وروحًا، وقلبًا، ولم أتمكن من البعد عنك؛ فصرت كل حياتي، وأملي الوحيد فى هذا العالم أن أصبح معك فى بيت واحد نكمل فيه الحلم.

وبعد فترة من الوقت عندما تمكن الحب منا، وأصبحت الحياة بدونها مستحيلة، قررت أن أذهب إلى الدكتور عصام -أبيها-؛ لكي أتمكن من ضمها إلي، وأحقق حلمي في أن تكون بين ذراعيَّ، وبداخل غرفتي في وقت قريب.

هكذا يا حبيبتي عندما ذهبت إلى أبيك، وتكلمت معه علمت أنكِ تحدثتِ معه عن حبك لي وعن كل شئ؛ ففرحت بأنكِ سهلتِ عليَّ الأمر بتواصل أبيكِ معنا، وموافقته على هذا الحب، واتفقت معه أن أحضر أبي وأمي وأخي نبيل في اليوم التالي؛ لكي نتفق على كل شئ، وكانت الفرحة تملأ قلبي بسعادة عارمة لا يقوى قلبي على تحملها، وبالفعل في هذا اليوم في الليل أصبت بالحمى، وكنت طوال الليل أرتجف، وكنت أشعر بالموت يقترب مني، ورأتني سها، وكانت تبكي من أجلي، وكانت تعلم أن دوائي عندك أنتِ، لا أحد غيرك؛ فأسرعت إليكِ، وأحضرتك ورأيت دموعك وأنتِ تقتربين مني، وتتساقط على خدي، وتبلل وجهي كحبات المطر،

ولكنها كانت تبرد الحرارة المرتفعة من الحمى.

وعلمت وقتها كم تحبينني، وكم أنتِ متعلقة بي، وأيضًا كم تألمت لحب سها لي وبكائها علي؛ فأردت بعدها أن أنهي ألم سها، ولكي تفقد الأمل فيّ، وأتمم الزواج بسارة فى أقرب وقت.

وبعد انتهاء الحمى ذهبت إلى والد سارة الدكتور عصام، وعرضت عليه تقديم موعد الزفاف، ولكن كان الدكتور عصام يعلم جيدًا أنني لا أقدر على شراء البيت الخشبي لسارة، وكانت هي الابنة الوحيدة له؛ فعرض عليّ مبلغًا من المال لكي أشتري به الحلم لسارة، ولكنني رفضت، ودخلت

سارة وأقنعت أباها بأننا نريد أن نصنع الحلم سويًا دون تدخل من أحد؛ لكي نشعر به، ونستمتع بالحلم معًا، ونقدر قيمته، وبالفعل وافق الدكتور عصام، وحدد الموعد للزواج، وكان أجمل حلم يتحقق لي أن أكون أنا وسارة في بيت واحد، في عالم نصنعه أنا وهي، وبالأخص حتى أبعد الأمل عن سها ونفقدها تمامًا، بدأت أنا وسارة في تحضير كل ما يتعلق بالزواج، وكنا نستمتع بكل شئ نحضره معًا؛ لكي يكون بيت الأحلام كما كنت أحلم به دائمًا.

وجاء موعد الزفاف، ورأيت أجمل عروس بين أحضاني، ويثور البركان وهي بجواري في فراش واحد، وكم حلمت بهذا، يتناثر البركان في أرجاء الغرفة؛ ليملأ الغرف بحُممه، وخفت على سارة من لهيبه ولكن الشوق كان عارمًا، لا يتحمل ثورة البركان وأطاح الغليان بالبدر وهو في فراشه.

وكانت سارة ممتعة، شهية، لذيذة، كما أنا أراها دائمًا، لا بل أكثر لذة، وأكثر متعة اليوم وهي بثوبها الأبيض، تتألق كالنجوم في السماء، كحبات اللؤلؤ تضوى فوق حمم البركان، وبعد فترة من الوقت لا أعلم كم، هدأ البركان من ثورته، ولكن لم يهدأ تلألأ النجوم فى سماء حياتي.

وصار البركان نشطًا جرّاء السعادة الدائمة، والحب الأفلاطوني الذى كنت أعيش فيه معها، كم كانت رائعة ومتألقة دائمًا؛ لتصنع أجمل وأعظم قصة حب فى التاريخ، لتروي بها نشوتي وهيامي وغرامي بها طوال الوقت.

البدر الذى أنار الشارع يومًا ما أنار حياتي، وهوى بقلبي، ولم أتمكن من الفرار.

وأتذكر عندما غضبت منكِ يومًا، وتركت لكِ المنزل، وبعد أن خرجت في الهواء الطلق قلبي لم يطاوعني بأن أبتعد عنكِ، ورجعت مسرعًا إلى المنزل؛ لكي أراكِ.

تجلس على سلم البيت وبيدها زهرة الياسمين وكأنها إشارة من القدر لي تحدثني عن حبك لي.

وقتها غمرتني السكينة، وشعرت وكأن أعصابي تمددت، وبأن مساماتي الصغيرة التى تتشرب بعشقها عاودت التنفس، انعطفت إليكِ، وأخذتك بين أحضاني دون عتاب أو لوم، أو أن أنطق بشئ، فكانت نظرة العيون ولغة الجسد هى الناطق الوحيد الذى يصلح بيننا، ورائحة الياسمين التي تملأ المكان هي التي كانت شاهدة على حبنا.

وبعد فترة وأنا بين أحضانك، ولم تدخلي البيت، سألتك: من هو الرجل العاقل الذي يحتوي المرأة؟

قلت لي: الرجل الذي يحب بدون أن يبحث عن الثمن، يحب امرأة واحدة، يعشقها بجنون ويتحمل من أجلها كل شئ، وإذا غضب يكظم الغيظ، وإذا هدأ تحتويه بداخلها.

فابتسمت، وقلت لها:

حريٌّ بك أن تحتويني بداخلك لكي يهدأ التمرد بقلبي.

كنت رجلًا ذكيًا يقلب كل الموازين، بكلمة واحدة تبادلني العشق، بكلمة وهمسة وبعض الأنفاس تسكن بداخلك، وتوقف التمرد عليك فى أقل من ثوانٍ، فهكذا الحب بكل معانيه، وهكذا كانت بعض المناوشات الصغيرة فى بداية الزواج لكي تتعود على بناء عش ممتلئ بالحب ودونما أية عوائق.

وفى هذه الليلة نهضت وقبلتك واعتذرت؛ فكيف لرجل أن يقوى على أن يرى البدر يبكي وهو فى ليلة تمامه؟! وإن فعل ذلك فهو حتمًا مجنون.

وحينذاك ابتسمت وقالت: هل أنت الرجل الذي كدت أن تقتلع باب الغرفة قبل دقائق؟!

وسألتها: هل كرهتني وقتها؟!

ردت عليّ بابتسامة قائلة:

لو اقتلعت حياتي بأكملها لا يمكنني أن أكرهك أبدًا؛ فأنت تسكن الروح والجسد، والحياة بدونك مستحيلة؛ فالموت أهون عليّ من أن أكرهك.

-ياه، كم أنتِ رقيقة وحنونة، و دائمًا تلمسين الفؤاد، وتحركين المشاعر بكلماتك الفياضة بالعشق والهيام، كم عشقتك وتأكدت أنكِ ملجأي الوحيد دون منازع.

وكنت دائمًا أضع رأسها على كتفي وأغني لها بعض كلمات الحب الجميلة بصوت جميل نوعًا ما، كما يقول أصدقائى فى بعض الحفلات التى أقيمها أنا وسارة فى منزلنا وندعو فيها كل الأصدقاء وبعضًا من الجيران.

وصار حلمًا جميلًا أعيشه، أخاف من أن تشرق الشمس فيتحول الحلم إلى كابوس.

كانت سارة أحن علي من ضمة الأم لوليدها، وصارت هي اللحن الخالد في حياتي، تحول كل شئ حولنا لسعادة دائمة، وحالة من العشق المستمر، كل يوم يمر علينا تشتعل ناره وتزداد حرارته.

ويظل البركان يشتعل ويغلي إلى آخر العمر، وأثمر هذا الحب فى مقتبل الزواج بلحن حياة جديد يضاف إلينا، ويكون الربيع الدائم، واللحن البديع "صبا" أجمل ما خرج من رحم هذا الحب لكى يخلّد إلى الأبد، كان أجمل معنىً لهذا الحب، وعندما ولدت صبا رأيت أجمل بنت في الكون، وعندما نظرت في عينيها كانتا زرقاوان، تشبهان البحر، وتشبهان عيني سارة الجميلة، وأقسمت يومها أن أحقق حلم سارة كونها أسعدتني بهذه الهدية "صبا".

حلم البيت الانجليزي، وبالفعل، قررت أن أدخر جزءًا من راتبي من عملي كمهندس معماري لكي أحقق الحلم وأقوم ببناءه.

حلم سارة التي أسعدتني، طوال هذه الفترة كنت أرى صبا وهي تكبر من حولي وتملأ حياتي أنا وسارة بالأمل والحياة الجميلة، أغنية جميلة يسري صوتها في أرجاء البيت، عند وصولي إلى البيت تقوم مسرعة إليّ تقبّلني قبل أن تأتي سارة؛ لكي تكون هي القبلة الأولى، ودائمًا تفعل هذا كل يوم، وكان هذا يثير غيرة سارة، ولكن عندما ترى الفرحة في عينيّ تسعد بنا وتنسى غضبها، كانتا كطفلتين في غيرتهما عليّ وتعلقهما بي، كل واحدة تريد أن أكون لها، ولكن عاطفة الأم كانت دائمًا تغلب سارة، وتتركني لصبا ألعب معها، وأغني معها، وهي الحياة التى تمنيت أن أعيشها وأسعد بها.

كل هذا ولا زلت أطمح في تحقيق حلم سارة التى طالما حلمت به، ورفضت أن أحققه بنقود أبيها؛ لكي أسعد معها به وأرى الفرحة التي أستحقها في عيونها بتعبي ومجهودي.

وصرت أعمل ليلًا ونهارًا؛ لكي يتحقق الحلم، وكانت تساعدني سارة في كل شئ، حتى في عمل الرسومات للبيت الانجليزي، دونما كلل أو ملل، وشعرت وقتها بسعادة من تكاتف سارة معي؛ لكي تخفف عني أعباء الحياة، ومن أجل تحقيق الحلم معًا.

حتى في حالة التعب، آخذ سارة وصبا إلى أحد الكافيهات التي تحبها سارة، وتكون فيها ألعابًا مسلية لصبا، ونقضي فيها بعض الوقت، ثم نعود إلى المنزل ونحن فى حالة من السعادة.

كنت أعمل طوال الوقت؛ لكي أوفر السعادة والرفاهية لسارة وصبا، وبعد تعب وفي بعض الأمسيات الجملية، سارة تعزف على البيانو، وأنا أغني، و دائمًا عندما يقام حفل فى بيتي وأجمع فيه بعض الأصدقاء والأقارب والجيران، الكل يتحدث عن صوتي الجميل الذى يسحر الكل بجماله، ومع عزف سارة أشدو معها وأطير في السحاب وكأنني في كوكب آخر معها دون أن أرى أحدًا غيرها، ودائمًا أرى سارة كالربيع المتجدد كل يوم برائحة الزهور، وبالأخص زهرة الياسمين، رائحتها مميزة، ونورها يملأ المكان.

وكان حبي وحنيني إليها بشكل دائم لا ينقص أبدًا، بل يتزايد كل يوم عن الآخر.

وكنت أشعر معها وكأنني كفصل الخريف ينتظر قدوم الربيع كل يوم؛ لكي تزهر أوراقه، وينتشر عبيرها فى كل مكان، ويتنسم الحياة من رحيقه، وبهذا الحب أصررت على أن أحقق الحلم لسارة مهما كلفني من ثمن، وصرت أعمل ليل نهار، وبعد طول عناء ومشقة وتعب تمكنت من تحقيق أول خطوة في الحلم بشراء قطعة أرض مميزة على قمة الوادي؛ لكي أبني عليها حلم سارة ورفاهية صبا، وبدأت في رسم الحلم على الورق وأنا أرى نظرة السعادة والفرح في عيني سارة وهي تشكرنى بكل ما لديها من حب وحنان .على تحقيق حلمها الذي تتمناه منذ سنوات.

وكانت توفر لي كل سبل الراحة؛ لكي أنجز الحلم في أسرع وقت، وتساعدني على ذلك بكل ما لديها من قوة.

وأبدعنا في التصميم والبحث عن أنماط البيوت الانجليزية؛ لكي يصبح أجمل وأفضل منها. وبالفعل، اخترنا شكلًا من الأشكال المميزة، وشرعنا أنا وسارة في العمل على رسمه والإبداع فيه؛ لكي يكون الحلم الأفضل، ويتملكنا لكي نعيش ونكمل الحياة فيه، لكي أروى حلم زهرة الربيع الدائم لي. ونشوة الحياة التي أعيش من أجلها، وأحيانًا أنهي عملي فى

أسرع وقت وأسرع إلى البيت؛ لكي أنتشي من زهرتي الجميلة، ولحن حياتي الدائم، وأضمها إلى صدري؛ لكي تمنحني الحياة، والقدرة على التنفس وأنا بعيد عنها طوال اليوم وأتملى من وجه ابنتي صبا أمل حياتى وأضمها هي الأخرى، لكي يتشبع جسدى منها ويتحمل قلبي عبء الحياة، وأدركت أن قلبي ما زال ينبض من أجلهما، ويحيا دائمًا بهما ولهما.

ومرت الأيام الجميلة على هذا الحب الذى يغمرني بنشوة وجمال ودفء الحياة وأنا أهيم بين جنباته، وبعد فترة من الزمن شرعت في بناء الحلم.

الحلم الذى كان يسكن قلبي وروح سارة معًا، الآن، سارة هي روحي التي أعيش بها ومن أجلها، وتأكدت أنني لا يمكنني العثور حب مثل هذا الحب، عشق وحنين دائمان يشتعلان في قلبي ولا يهدأ أبدًا، لأنني كنت دائم الاشتياق لهما في كل الأوقات.

حتى وأنا أمام سارة وهي تعزف على البيانو الذى كان ينتصف المنزل، وأراها تغني وصبا تصفق معها وكأنهما من ملائكة الجنة، وأنا راهب في محراب جمالهما وصوتهما العذب، وصرت راهب الجمال الذي عشقته العين وترسخ في الأذن بصوتهما الحنون، وصرت أدعو الله أن يديم عليّ هذه النعمة، ويظل المحراب دائمًا مفتوحًا لصلاة الراهب، لكي يتعبد

ويحمد ربه فيه، وكنت أسمع سارة وهي تحمد ربها على هذه النعمة التى أنعم الله عليها بها؛ حبي لها وسعادتها معي.

وكل ليلة نسهر سهرة جميلة تجمع معنا بعض الأصدقاء المقربين الذين كنت أرى نظرات الغيرة والحسد فى أعينهم، ولا أدري كيف أكسر هذه النظرات وقلبي خائف عليهما منهم، وبعد هذا اليوم قررت أن أمنع الحفلات في بيتي؛ لكي أتقي شر هذه النظرات، وحسد هذه الأعين.

ولكن سارة كانت لا تؤمن بذلك مثل أية فتاة تربت في الغرب منطلقة تفعل ما تريد وقتما تريد، ولكن كانت مؤمنة بقضاء الله وقدره، و دائمًا كانت تقول: "قل لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا"، لا تخف يا حبيبي، إن الله سيحفظنا من أجل هذا الحب العظيم، ولكن قلبي وقلبها دائمًا يتوجّسان خيفة بأن شيئًا عظيمًا سيحدث لنا، ولا نعلم ما هو وما تخبئه الأيام لنا.

وفي يوم ولأول مرة أسمع من سارة هذه الكلمات وهي تبتسم وتقول لى:

- فريد، هل أنت سعيد معي؟
- ولماذا هذا السؤال الغريب فجأة يا سارة؟!

أول مرة أسمع هذا السؤال، لدرجة أن عقلي شل عن التفكير في الإجابة، ولم يقدر على الكلام.

- لماذا لا تجب على السؤال؟

صمت للحظات، ولا أدري بِمَ أجيب ولا ماذا أقول ولِمَ تقول هذا الكلام لي؟! وانقبض قلبي فى هذا اليوم لدرجة الاختناق وعدم التنفس، وفي هذا اليوم سمعت صوت سها تنادي علينا، وهي تضم صبا إلى صدرها وتقول لنا: أيها الأحبة، يا أهل الدار، ماذا يحدث هنا؟! أتتركان الأميرة الجميلة هنا بمفردها، وتغلقان عليكما الأبواب؟! يا لكما من أحمقين. وخرجت وأسرعت إلى سها وضممتها وهي تبتسم، وسارة تضحك كالعادة لأنها تعودت على مغازلتي لسها دائمًا، وكانت تحب ذلك منها.

ولكن سها لم ترنى بهذا الشكل إلا في أيام الحمى، وكان هذا منذ زمن بعيد.

وبعد فترة من الوقت.....

وقفت أمامي وبدأت تضع يدها على جبيني تتحسسني لكي ترى درجة حرارتي، ولكن ذلك تسبب في انقطاع نفَسي، وسقطت على الارض مغشيًا عليّ وأنا بين ذراع سها، وسمعت صرخات صبا وسارة عليّ قبل أن

أفقد الوعي، ومر الوقت، وبعد فترة كنت على الفراش منهكًا وكأنني أصارع الموت من سنوات، والطبيب بجواري يضعني على جهاز التنفس، وبكاء سارة وصبا أعلى صوتًا من ضربات قلبي، وأمي تنام على ذراعي ولم أسمع منها سوى الدعاء، وأبي ونبيل يخرجان من الغرفة مع الطبيب.

لم أدرِ ماذا حدث لي؟! وكل ما يشغلني كلام سارة الذي أحرق قلبي، وصرت أفكر لماذا قالت سارة هذا الكلام ولماذا تسأل عن السعادة معي الآن؟! وخوفي من نظرات الحسد تملأ قلبي وعقلي، ولكن وفجأة وقعت سارة على الأرض ورأيت سها تصرخ، ويحضر نبيل، ويحمل سارة إلى غرفة أخرى، وقلبي لم يتحمل، وأسرع من على الفراش واتكئ على أمي لأذهب إليها في الغرفة الثانية، وأمي تحاول أن تمنعني خوفًا عليّ، ولا تعلم أن الحياة بدون سارة مستحيلة، وعندما وصلت إلى الغرفة رأيت نبيل وهو يحاول إفاقة سارة من الإغماء، وعندما رآني نزلت الدموع من عينيه ومن عين صبا.

ويخرج نبيل وأمي وسها من الغرفة بعد إفاقة سارة ليتركونا أنا وسارة بمفردنا لأنهم شعروا بأن الوضع لا يسمح بوجودهم هنا.

وبالفعل خرج الجميع، وذهبت سها لكي تخفف عن صبا وهي تضمها إليها كأمها وهي أمام الغرفة، ورأيت سها وهي تضم صبا إلى أحضانها.

وفي هذه الليلة علمت مدى حب سها لي، ولماذا لم تتزوج طوال هذه الفترة الماضية؛ لحبها الشديد لي وتعلق قلبها وروحها معي.

كنت لا أسمح لنفسي بذلك، ولكنه رغمًا عني، قلبي لا يتحمل إلا حب سارة فقط، كنت أتنفسها.

وبعد خروجهم من الغرفة ضممت سارة إلى أحضاني؛ لكي نستعيد الحياة أنا وهي مرةً أخرى،

وسألتها: لماذا قلتِ هذا الكلام الذي قبض قلبي ولم يتحمله؟!

فبكت سارة وقالت لي:

اليوم عندما دخلت البيت رأيت صبا تقطع أزهار الياسمين من كل المنزل، وشعرت بروحي تخرج مني، ورأيت غمامة سوداء تملأ المكان؛ فشعرت بأنها النهاية قد اقتربت مني؛ فسألتك لكي أعلم هل كنت سعيدًا معي كل هذه الفترة كما كنت أنا أسعد الناس بحبك لي؟

كنت أريد أن أعلم مدى حبك لي وسعادتك معي قبل الرحيل، وأنا أعلم أنك لن تتحمل ذلك أبدًا. فاتصلت بسها لكي تحضر وتخفف علينا هذا الألم بمزاحها الدائم والمستمر معك ومع صبا.

تناثرت الدموع من عيني ومن عين سارة، وصرت أقبلها بطريقة هستيرية، لا أعلم لماذا؟ هل أتشبع منها أم أوقف هذا الشعور بالنهاية؟ أم أريد أن أتنفس أو تخرج روحي بسبب تلك الأوهام؟!

لا أعلم ماذا أفعل ولا كيف أنهي هذا الشعور وأسكت قلبي،

سارة وهذا الشعور الذي يتملكها، وهذه الكلمات التي لا معنى لها سوى الموت لي.

بعد سارة عني هو الموت المؤكد.

وكنت أريد التخلص من حالة عدم التنفس؛ فقمت وأسرعت وأحضرت سها وصرت أغني، وهى تصفق لي، وملأنا المشفى بالبهجة والسرور؛ لكي أنهي هذه الحالة من الحزن والتيه وأخرج من هذه الأحداث، وإذا بأمي وأبي يضحكان ويصفقان معًا، ونبيل يمسك ذراعي سها وصبا ويتراقص بهما، وبأعلى صوت من أمي وسارة بضحك بطريقة هستيرية، وذهبنا إلى المنزل لنكمل الحفل، وبدأت سارة تعزف على البيانو، وأبي ونبيل يصفقان لنا، وانقلب اليوم وحالة الحزن إلى مهرجان من الضحك والغناء، وانقضت الليلة الأليمة على ذلك.

ومرت الأيام ولا أنسى هذه الليلة أبدًا ودموع سارة دائمًا في عيني تحرقها وتمزق قلبي معها.

وبعدها مرت الأيام وصرت أعمل بجد ونشاط في المنزل الإنجليزي، أحاول أن أنسى كلام سارة، ولكن قبضة قلبي لم تنتهِ أبدًا، رغم انشغالي الدائم، وصرت أقضي الليالي في بناء البيت وكلي شوق لأرى نظرة الفرح في عيني سارة لكي يسر قلبي المتعلق بها وتسكن السعادة قلبها وتبهج حياتي أنا وصبا.

وانقضى الوقت وانتهيت من البناء وشعرت بأن قلبي يكاد أن يطير من السعادة، ولكن كنت أتمنى أن أرى السعادة في عيون سارة عندما ترى البيت بعد الانتهاء، وفي ذلك اليوم ولأول مرة أرى شيئًا غريبًا يلحقني،

صديقًا لا أعلم من هو، رأيته في أحلامي الفترة الأخيرة دائمًا يراودني في كل حلم، ويأخذ مني سارة وصبا معًا، ولكن كل مرة أحاول أن أتغلب عليه، ولا أقدر؛ فصارت نظرة الخوف تلحقني في كل مكان، وقررت أن أسرع في اقتناء الأثاث؛ لكي أفرش بيت الجبل -البيت الإنجليزي- وهو في قمة جبل ينحدر منه وادٍ عميق منظر رائع الجمل مع رائحة زهور الياسمين التي تملأ المكان بنورها وجمالها ورائحتها البديعة.

وذهبت بعدها وانتقيت أفضل أنواع الأثاث الحديث، وفرشت به المنزل وأنا أعلم جيدًا ذوق سارة حبيبتي، وأعلم ماذا كانت تحب وتحلم به من أثاث.

كما اخترت أجمل ألوان الدهانات، كما فعلت في أنواع الأخشاب التي تميز رائحتها الجميلة التي تشعرك وكأنك في الريف الإنجليزي بكل ما فيه من روائح الأخشاب المميزة وجمال المباني لكي تعيش سارة حلمها في كل شيء هنا حلم عمرها التي فعلت كل ما أقدر عليه لكي يتحقق.

ومرت الأيام وانتهيت من الحلم من فرش الأثاث قطعة قطعة؛ لكي تسعد حبيبتي بحلم عمرها وأرى البسمة في عينيها.

وانتهى الحلم الذي يراودني في الأيام الأخيرة، وصديقي الدائم الذي صار يلحقني في كل مكان ولا أعلم من هو وماذا يريد مني أنا وسارة وصبا؟!

وبعدها وعندما رأيت الحلم صار حقيقة صارت أرجلي لا تتلمس الأرض من شدة السعادة والسرور، أن أرى قمة الفرح في عيون سارة.

بعدها أذهب إلى المنزل وأحضر سارة وصبا لكي تريان الحلم الذي طال انتظاره، وأرى السعادة الغامرة في عينيهما، ويطير قلبي معهما

وبالفعل..

دخلت المنزل في ذلك اليوم والفرحة تملأ وجهي، وكعادتي عندما أدخل البيت أن تقابلني سارة ببعض القبلات والأحضان الدافئة التي تنعش قلبي، وتسعد حياتي، وتمتد هذه القبلات إلى أن تحضر صبا وتقطعها

من غيرتها على وتتعلق في رقبتي، وتقبلني مثلما فعلت أمها، وكل منهما تتصارع عليّ لكي تحكي لي كل ما حدث طول اليوم، وتنفرد بي، وتقبلني لتثير غيرة الآخرى.

وفي ذلك الوقت وكأني أهم رجلٍ في العالم من كثرة هذا الحب، وكل ما أتمناه أمام سارة وصبا، ولا أريد من الدنيا شيئًا آخر.

وبعد كل هذه القبلات الحارة والحكايات المستمرة نجلس على طاولة الطعام نتناول الغداء، وأنا أقول لسارة وصبا: حبيبتاي، بعد الغداء لنسرع ونبدل ملابسنا لكي أريكما شيئًا عزيزًا عليكما كم حلمتما به منذ سنوات.

صنعته من أجلكما ومن أجل سعادتكما، ولكي تريان مفاجأة العمر التي تحققت الآن بفضلكما وبفضل حبي لكما.

وأسرعت سارة بلهفة، وهي تشعر أني أتحدث عن الحلم، حلم البيت الإنجليزي، وأسرعت وبدلت ملابسها هي وصبا في أسرع وقت ممكن ولكن وكالعادة عندما نخرج من البيت تذهب صبا مسرعةً إلى السيارة لكي تركب بجانبي قبل أن تجلس سارة، وكالعادة تتعارك صبا وسارة لكي ترجع واحدة منهما إلى الخلف، وبالفعل أجلس وأحاول أن أقنع صبا بالرجوع إلى الخلف وأن تترك سارة تجلس في الأمام بجانبي، وبعد عدة

مناوشات ووعد مني لصبا أن آخذها معي بمفردها في يوم، وتركب بجانبي، ونترك سارة في البيت في إحدى المرات، ونذهب سويًا نبحث في الطرقات كما تحب صبا، وأجلب لها بعض الهدايا والحلوى.

وأخيرًا، وبعد وقت طويل من المناقشة مع صبا تقبل وتترك المقعد الأمامي لسارة وترجع إلى الخلف بعد كل هذه الوعود الكثيرة مني لها،

وتقول لي سارة بصوت دافيء وحنون ودون أي غضب منها:

- فريد، حبيبي انت بتدلع صبا كتير جدًا، وده مش معقول
- حبيبتي، صبا هي بنتي الوحيدة، هي أميرتي الصغيرة المدللة، هي لحن العمر الجميل، ولكن هي بنتي ذكية جدًا، بتفهم كل شيء وبتسمع كلام أمها الجميلة.
- "صح يا بابا"

وبعدها تعتذر صبا لسارة ونضحك جميعًا ونذهب بالسيارة لنكمل الطريق، وأنا في الطريق تقول لي سارة:

- فريد يا حبيبي، إيه هي المفاجآة اللي انت مودينا ليها، وانت مسرع أوي كده، حاسه إن الحلم كمل، واتحقق بعد عناء طويل منك،

ومني طول الفترة دي، حسيت إنك بتعمل علشاني المستحيل، علشان تحقق الحلم بكل اللي تقدر عليه من إمكانيات جسدية ومالية ومعنوية، وعلشان تسعد روحي دايمًا، ولكن يا حبيبي، كنت مبسوطة معاك لدرجة إن مافيش سعادة أتمناها أكتر من السعادة دي حتى ولو كان حلم العمر، أنت يا فريد.. أنت حلم العمر كله، اللي سعدت بيه ومعاه كل المدة دي، ومش عايزة حاجة أكتر من كده، قلبي مافهوش أي مكان لأي سعادة تانية ، حتى الحلم اللي هيسعد قلبي دلوقتي.

وطلبت مني سارة أن أوقف السيارة وأخذتها بين أحضاني، ثم قبلتني، وكأنها قبلة الوداع الأخيرة، وكان قلبي يخبرني بذلك وأشعر وكأنها النهاية، وأن هذه قبلة الوداع، ولكن حاولت التخلص من هذا الشعور وأن أهدئ من روع سارة، وأكمل الطريق، لا أعلم ماذا يخبئ القدر ولكن تخوفت من كلمات سارة لي وأحضانها وقبلاتها التي كانت لا تشبه أي مرة قبلتها فيها، وارتجف قلبي وجسدي مع هذه القبلات وانقبضت روحي معها، ورأيت صديقي الذي يحوم حولي يقف أمام السيارة ولا يفارقني أبدًا.

حاولت التخلص منه ولكنني لا أقوى على أبعاده عن طريقي، ولكن أيضًا لا أريد أن أظهر شيئًا من ذلك الأمر لسارة لكي تهدأ.

و بعدها نظرت إليها وقلت لها:

- حبيبتي لا تستسلمي للأفكار السيئة، أريد أن تملأ البسمة عيونك ووجهك كما تعودت عليها؛ لأرى الإشراق في وجهك، ولا أرى سوى السعادة والأشياء الجميلة التي تحيط بنا وتستمر إلى آخر العمر.

كنت أقول ذلك وأنا لا أقتنع به؛ لكي تتبسم سارة فقط، وتنسى نظرة الخوف، هذه النظرة التي قبضت روحي معها وكنت لا أعلم أنها تشعر بالنهاية، ولكن كانت تحاول أن تخرج من هذا الشعور لكي لا تزعجني وتزعج صبا معنا.

وأكملنا الطريق أنا وسارة وصبا إلى الحلم، الحلم الذي كنت أرى الخوف في عيون سارة كلما اقتربنا منه، ولا أعلم أنه سيدمر حياتنا وينقلب بنا إلى كابوس مروع يقضي عليّ وعلى كل أحلامي وينهي حياتي أيضًا معه..

بقيت سارة تبتسم وأنا أشعر بانقباض في روحها وأنا كذلك رغم ابتسامتي لها لكي تنتهي حالة القلق هذه، ولكن صبا كانت تهلل كعادتها ونحاول أن نجاريها في سعادتها؛ لكي لا تشعر بشيء مثلنا.

وملأتا السيارة بالغناء والمرح، ولكنني كنت مشغولًا عنهما بإبعاد صديقي الغريب عنا وعن طريقي خوفًا عليهما منه، وفي لحظة وأقل من ثوانٍ ودون وعي مني أنها النهاية عندما اقتربنا من أطراف الجبل قرب البيت الخشبي فوق قمة الجبل، جنحت مني السيارة وانقلبت من فوق الجبل وسقطت في الوادي وسقط معها كل ما لي في الحياة سارة وصبا.

وأنا من سوء حظي لكي تعذبني الحياة بدونهما تعلقت في جذع شجرة بعد سقوطي من السيارة معهما، ولم أسقط مثلهما في أعماق الوادي من فوق قمة الجبل لكي تنتهي بي الحياة معهما، ولكن الله يريد لي أن أكمل حياتي؛ لكي أعلم أنني على موعد آخر مع الحياة، وعلمت بعدها من هو هذا الصديق؛ إنه صديقي الموت الذي صار يلزمني بعدها في كل مكان؛ لكي يساعدني على التخلص من ألمي وحياتي بعدها.

الفصل الأول
"غيبوبة"

"يا رب، يا رب اشفِ لي إبني، يا رب قوِّه وردّه لي سالمًا يا رب"

هذا ما سمعته من أمي عند تعلقها بيدي بعد ما أفقت ورجعت إلى الدنيا بعد غيبوبة طالت معي كثيرًا دون وعي ودون أي من إحساس بمن حولي بعد ما أن رأيت سارة وصبا وهما تقعان من أعلى الجبال أمامي وأنا أصرخ من قلبي وأنادي على أي أحد لإنقاذهما، وليس هناك مَن يُلبي آهات وجعي وأنّاتي

يقف إلى جواري وعيناه مليئتان بأمطار من الدموع كأنها تسقط من قلبه لا من عينيه ويقول بصوت حزين خافت:

- يا رب اشفِ لي ابني يا رب، أنا مش ناقص حرقة قلب عليه.

هكذا رأيت أبي عندما استفقت لعدة لحظات من غيبوبة طالت بي كثيرًا وقبل أن أصارع غيبوبة أخرى بعد ما رأيت أبي بهذا الحال، وهو يعتصر بين دموع الحزن عليّ وكابوس الموت الذي تملكه واستوطن قلبه دون أن يتركه للحظة وصار صراعًا بينه وبين عقله، صار جرحا لا يفارقه ووجعًا يحيط به عندما وجد ابنته وزوجته الموت يعصف بهما أمامه

دموع تُذرف وتسيطر على أنحاء المكان، دعوات كثيرة هنا وهناك، صوته وصوتها هو الصدى الوحيد الذي يحيط بي، دعواته ودعواتها لا أسمع غيرهما حولي

يقول: إبني يا رب

وتقول: إبني يا رب

بدموع تنطق قبل اللسان وآهة تخرج منهما من قلبيهما بكل مرارة وتوسل إلى الله ليشفي ابنهما.

هذا المشهد لا أفيق على غيره طوال الغيبوبة القاسية التي جعلت صديقي الوحيد في هذا الوقت هو الموت، أفيق لعدة لحظات فأرى هذا المشهد المتكرر بعد أن حدثت الحادثة ثم أعود لمأواي الذي جعله ربي لي حقا وهو الغيبوبة التي لا أعلم إلى أين تذهب بي.

"أنا قلبي مقبوض

أنا حاسّة إن هيجرى لي حاجة

حاسّة إني مش هاعيش تاني

حاسة بحاجة غريبة حواليا

وهذا ما كانت تشعر به سارة وتردده بصوت خافت لعدة مرات متتالية، بنبرة حزن وخوف وعدم طمأنينة وعدم ارتياح.

ولو أني كنت أعلم ما سيحدث لنا لما ذهبت بهما إلى الحلم المرير.

"أريد أن أذهب معك إليهما، أريد صحبتك حيثما شئت، أريدك أن تأخذني إليهما، وأريد أن أطمئن عليهما، خذني معك، خذني معك"

هكذا كنت أتحدث للموت دائمًا ولكن دعوات أمي وأبي تنقذني من بين يدي الموت، ولا يعلمان أني لا أريد سوى الذهاب معه للاطمئنان عليهما، ولا يريدان أنه أصبح الصديق الوحيد لي بهذه الحياة، ولا يعلمان أنني صرت كزهرة الصبار، كلما كبرت، زادت مرارتها، وأنا أظل بهذه المرارة إلى آخر العمر، وكل من يقترب مني أجرحه بشوكي، حتى الأقربين إلي، "امي وأبي" كلما أردت الذهاب معه أراهما أمامي يغرقان في بحار من دموع وجراح وآهات ما لها آخر، ودعائهما المستمر لكي أتخلص من ما أنا عليه حتى الآن

"ارحمااااني، ارحما قلبي الذي يئن على فراقهما، ويموت شوقًا لرؤيتهما، ولا يتحمل آهاتكما، ولا يتحمل وجعكما عليّ، ارحماني ودعاني أرحل إليهما بكل هدوء، دون أن أرى أي دمع أو وجع بكما، واعذرا قلبي فهو لا يطيق العيش بدونهما"

وهذا ما كنت أردده دائمًا بخيالي، دون صوت، دون وعي دون أي تصرف مني أو أي حركة، كنت أقوله لأمي وأبي دائمًا ليشعرا بي، ليحسا بما أحسه بعد أن مرت الأيام والأيام وبقي الحال كما هو عليه، والموت باق معي في كل مكان أطالبه بالاستمرار وأن يصحبني معه إلى عالمه الآخر لكي أتخلص مما أنا فيه لكي أجد روحي عند زوجتي وابنتي.

الفصل الثاني
"البحث عنه"

"جسدي ما عاد يقوى على المهدئات، ضعفت قوتي، أصبحت لا أقوى على الحركة كالمعتاد، أريد أن أقبل على الانتحار بكل ما فيّ"

وهذا ما أصبحت أردده دائمًا بيني وبيني بعد طالت آثار الحادث لعام كامل وأنا أُقتل كل يوم به، وأنا ما زلت أبحث عن صديقي الذي صار معي دائمًا لمدة عام، وبالرغم من هذا ففي ذلك الوقت تركني وحدي، لأنني لم أعد صالحًا كصديق له، فجسدي صار نحيفا وضعيفًا وهزيلًا لا يقدر على الحركة ولا يقاوم محاولات الانتحار المستمرة، ودائمًا ما كان يعلق لي التحاليل من شدة ضعفي وعدم استطاعتي أن أقوم بأكل الوجبات اليومية، ولكن قضاء ربي كان أقوى من كل شيء لي فهو أرحم بعباده من أي شيء

"لازم أقرر إني أعيش

ربنا مش رايد بإني أموت

عايز أجرب أعيش"

هذا ما قررته بيني وبين ذاتي، بعد ما وجدت لا مفر من الحياة، ولكني اكتشفت مؤخرًا أن الوحدة هي خير رفيق وهي المأوى الوحيد لي، فأصبحت ميتًا على قيد الحياة، وأقبلت على غرفتي التي لا تفارقني ولا أفارقها للحظة، صرنا معًا، صرنا أصدقاء، لا أخرج منها ولا أستطيع تركها ولو للحظة، وبقيت أتحدث معي بها متخيلًا أنهنَّا معي، وإلى جواري، وكان العذاب يقتلني، والآهات تذبحني، والوجع يعبث بي بكل مرة أجد فيها أمي مغرورقة بالدموع عليّ وعلى حالي، وما بيديها أي شيء سوى دموعها ووجعها وجراحها ولم تسلم من جراحي المستمرة في كل مرة تتحدث معي فيها ولكن القدر أعماني

- "يا عم انت...مش ناوي تيجي تتمشى معايا شوية طيب؟ طيب لو مش علشان خاطري خلّيها علشان خاطر أمك الغلبانة اللي بتموت علشانك دي ولا انت عايز تفقدها هي كمان من اللي بيحصل فيها بسببك وبسبب حزنك واللي انت فيه؟

هذا ما ألحّ عليّ به أخي نبيل، لأخرج مما أنا عليه من حزن واكتئاب وهم وغم ووجع وجراح.

خرجت مع نبيل لنتمشى معًا، أحاول أن أخرج من حزني وهمي، صحبت معي الهم والحزن محاولًا التخلص منهما محاولًا أن ألقي بهما إلى بعيد جدًا، إلى بعيد حتى يتركاني وحدي دون أن يتملكا مني أكثر من هذا، خرجت لأول مرة بعد عام طويل دون أن أرى فيه الشوارع والطرقات، خرجت أبحث عن روحي في كل شارع أمشي به، خرجت أبحث عن ابنتي وزوجتي اللتان أخذهما الموت مني، خرجت كي أخرج مما أنا عليه ويا ليتني كنت بقيت في منزلي دون الخروج إلى عالم كل ما فيه يذكرني بهما، وأرى شبح صبا يحاصرني ويخطفني مني، ويعبث بي من هنا إلى هنا، وشبح سارة الذي أجده في كل زهرة ياسمين أراها ولم أعد أتحمل ذلك ووصلت لحالة أحدثهما في كل مكان وأحكي معهما وأرى ضحكة صبا، ابنتي التي عشت أحلم بها وأتمناها من الله، والتي عشت أحلم باليوم الذي أجدها فيه عروسة وأسلمها لزوجها بيدي، ابنتي التي عندما أنعم الله علي بها، حرمني منها وأخذها مني

ابتسامة خفيفة ممزوجة بدمع خافت

"أيوا والله هي دي ضحكة صبا، أيوا هي دي شقاوتها ودلعها ولعبها، ودلالها عليّ لما بتيجي تطلب حاجة، ودي كمان ابتسامة سارة وحضنها الدافي اللي كان المأوى ليا من أي حاجة في الدنيا، أيوا والله هما دول انا فاكر تفاصيلهم كويس أوي"

وهذا ما قلته لنفسي وأنا أحدث نفسي في قمة حزني وغضبي بعد فراقهما، كانت الذكريات تقتلني وهي تدور بخاطري وهي تسيطر على عقلي وقلبي وتفكيري وكل ما بي، كنت أشعر دائمًا أنهما حولي ومعي وإلى جواري وبصحبتي وبرفقتي وتساندانني دائمًا في كل شيء وكل مكان، وحنين إليهما يطوقني ويسحب أعناقي إلى أطراف الجبل لكي ألحق بهما.

ولكن ماذا أفعل؟ خوفي على أمي من الموت حزنًا عليّ وأنها من الأكيد أن تموت دوني معها، وتموت بعد موتي، ولكن لا جدوى من الذي أجد به صحبة كل الأحبة في كل وقت "ازرع الحب في الأرض تجد الأرض سما".

أتذكر قول سارة هذا عندما أكون في كرب وألجأ إليها شاكيًا باكيًا من الدنيا وذلها ومرها، فتقوله لي وأسمع بنصيحتها وأصبح سعيدًا تاركًا الهم، وفعلًا أخذت بنصيحة سارة التي تذكرتها حتى وإن كانت سارة غائبة عني فأصرخ من وجعي قائلًا:

- لكن اليوم يا حبيبتي مَن يدلني على الطريق، أين هي السماء التي زرعتها بالحب، دونك الآن؟ أين الذي يضم ألمي ويداوي جرحي الذي صار ينزف طوال الوقت بدونك؟ لقد صرت يا حبيبتي أرى زهور الياسمين سوداء بلون الحياة التي أكره العيش فيها، زهور الياسمين التي كنت أنتشي بها كلما رأيتك ونورها كان يضيء حياتي معك، ولكن الآن رائحتها تدلني على الموت لكي ألحق بك، وأتنسمها معك هناك في العالم الآخر لكي تهدأ روحي هناك عندك أنت وصبا، والآن أنا بدونك أنت وصبا لا شيء، الحلم يطاردني لكي أتخلص منه.

الفصل الثالث
"إلى الحلم الكابوس"

"يااااه

انت الحلم اللي اتحول لكابوس؟

انت اللي كنا جايين لك سالمين

ورجعت من غير أهم إتنين في حياتي

رجعت من غير روحي

يا ريتني ما كنت جبتهم وجيت

يااا ريييت"

كنت أردد هذه الكلمات متوجعًا عندما ذهب إلى الحلم الذي تحول إلى كابوس مرير، ذهبت إليه معبأ بكل الجراح التي تسبب هذا الحلم فيها وأريد أن أحرق كل ما صنعته لكي أنتقم منه، فهو كان سببًا في حرماني منك ومن صبا، ولكن عندما ذهبت إليه بعد طول العناء لكي أقدر على طلوع الجبل مرة أخرى، وعندما وصلت إليه طاردني عطر الأخشاب الذي كنتِ تعشقينها، وصرت لا أقدر على حمل قدمي ووقعت على الأرض بين زهور الربيع التي تفتحت في بداية العام بدونك.

"حبيبتي

زهور الياسمين حبيبتك تفتحت مرة أخري

وهي تعلم أنك بعيدة عنها

فلماذا تزهر مرة أخرى دونك؟"

"إيه ده؟

انا هنا من إمتا وحصل لي ايه؟"

رددت هذه الكلمات بعدما صحوت من غفلتي على حرارة الشمس التي أنهشت جسدي، بعد أن وقعت في حالة إغماء دون وعي بعد ما بقيت أتحدث مع حبيبتي بخيالي وأقص عليها أخبار زهرها وزرعها وكل شيء كانت تحبه هنا، ولكن عذرًا حبيبتي... لا أعلم ماذا أفعل وأنا حزين على الغفوة من حلم به أنت حبيبتي، علمت في هذا اليوم أنك سعيدة جدًا بي وبكل مَن حولي، حتى وإن كنتِ تسكنين عالمًا آخرًا

فتركت هذا الحلم وذهبت عنه بعيدًا بعيدًا ولا أجد لي قِبلة تدلني إلى أين أذهب ومع من وإلى متى أظل تائهًا في حياة لا أجد لي أي فائدة للعيش بها بعد أن فقدت أغلى ما أملك، وصرت أضرب الطرق بسيارتي لا أعلم إلى أين أذهب وعن أي شيء أبحث وماذا أريد وماذا أفعل وكيف أعيش؟

وبقيت أزحف وأزحف على سطح منطقة الجبل هذا، ولا أريد الجلوس في أي مكان، ولكن لا أعلم ما هو الشعور الذي يجرّني إلى هناك، ومر الوقت على ذلك الأمر، ولكن فجأة تعطلت السيارة أمام مزرعة كبيرة من تلك المزارع التي توجد في طريق الجبل، ولكن هناك أمامها انتابني شعور غريب، أشم رائحة صديقي الوحيد هناك.

الفصل الرابع
"الشعور بالموت"

"معقول يكون مستنيني هنا؟

معقول ممكن الحلم يتحقق هنا؟

هذا ما كنت أردده عندما شعرت أن صديقي الوحيد" الموت" ينتظرني هنا، ولكن شعرت بأنه ينتظرني دون أن أفكر للحظة في الانتحار، وشعرت به يحيطني هذه المرة بأشباح حية.

وبالرغم من أني أشعر به وأشعر بأنه يحيط بي وبأرجاء المكان اقتربت من سور المزرعة وبالرغم من أني أشعر به أيضًا على أبوابها، وطرقت الباب ولكنه كان مفتوحًا، فدخلت أتجول فيها، رأيت كل البيوت في المزرعة تأكلها النيران، محترقة على آخرها وخالية من السكان، فانقبض قلبي وروحي في ذلك الوقت مرة واحدة، وعلمت لماذا رأيت صديقي الموت هناك فهذا موطنه الأصلي مكان الموت والخراب، ولكن في وسط المزرعة وأنا أبحث عن أي شيء فيها، عن أي شخص يساعدني، رأيت قصرًا كبيرًا وسط المزرعة ولم يصبه الحريق.

فاقتربت منه ووقفت عند الباب وطرقته ولكن هذه المرة فتح لي رجل تأكله علامات كبر السن وتهلكه الشيخوخة ولم ينطق بشيء واحد وصار يشير لي إلى الدخول

"إيه ده!

معقول!

معقول هي!

لأ مش معقول هي دي....."

رددت هذه الكلمات في فزع شديد عندما دخلت إلى القصر وأنا أسمع عزف سارة على البيانو يملأ أرجاء القصر ولا أعلم أهو حلم أم حقيقة؟

ودخلت لكي أرى سارة هناك، ولكن لم تكن هي.

رأيت فتاة جميلة تعزف نفس المقطوعة التي كانت تعزفها سارة وكنت أهواها وأعشقها وهي تُبث من بين أناملها ووقفت أسمع المقطوعة المفضلة عندي وعند سارة والفتاة تعزفها بنفس المهارة وكثرة الشبه بسارة وقلبي صار يحقق ويدقق مع عزفها والحنين إلى حبيبتي وإلى الماضي يأخذني إليها

"إيه المكان ده؟

أنا أيه اللي جابني هنا؟"

قلتُ هذه الكلمات عندما أفقت من غيبوبة لا أعلم كم استغرقت بداخلي، ووجدت نفسي على سرير بغرفة قديمة الأثاث وكأنها غرفة ملكية.. بعد أن جاءت إليّ الفتاة التي كانت تعزف المقطوعة التي كنت أعشقها كسارة تمامًا

وقالت لي: من أنت أيها الشاب؟ ولِمَ أنتَ هنا؟ وماذا تريد؟

"أنا يا إبني البرنس جلال زاده، وأنا صاحب المزرعة اللي أنت فيها دي، ومن البيت الملكي، وأعمل طبيبًا أيضًا، وأنت هنا في إحدى غرف قصري بعد أن فقدت الوعي، وأبلغتني ابنتي بذلك فحملتك إلى هنا حتى تسترد وعيك وأعلم من أنت، ولما أنت على هذه الحالة من اليأس والضعف"

هذا ما قاله لي رجل كبير عجوز، دخل علي الغرفة التي نُقلت إليها بعد أن فقدت الوعي وكان رجلًا طويل القامة، كثير الهيبة وكأنه حاكم أو أمير وعلمت منه أنه صاحب المزرعة عندما عرفني بنفسه.

" أنا المهندس/ فريد عبد الحميد، مهندس في فن العمارة، وأما ما أنا عليه من الضعف واليأس والمرض، فهذه حكاية طويلة جدًا حدثت لي منذ أكثر من عام هنا فوق سطح الجبل"

هكذا عرفته بنفسي عندما سألني عن سبب حزني ويأسي وطلب مني أن أعرفه بنفسي.

فقام البرنس جلال زادة وأمسك بيدي لكي يطمئن على حالتي وقال لي:

- يا بني... مهما حصل لك هنا على سفح الجبل فالدنيا كل يوم على حال، كل يوم في شأن، يوم تسعدك ويوم تبعت لك إشارات القدر علشان توعدك بأشياء تانية، هي دي الحياة، يوم ليك... ويوم عليك، ولكن انت مؤتمن على حياتك، يعني تخلي بالك من اللي بتعمله فيها.
- "سيّدي: الحياة خدت مني كل ما ليا، خدت البسمة والأمل الوحيد اللي كان بيربطني بيها، ودلوقتي!! دلوقتي أنا ماعنديش غير الموت، هو الصديق الوحيد اللي ملازمني دلوقتي، هو اللي بيبعت لي إشارات القدر اللي انت بتتكلم عنها دي، وأنا مش عارف أنا هنا ليه! وليه رسم لي إتجاه الإشارة قصاد أبواب المزرعة دي بالذات.

هذا ما قلته عند ردي على البرنس وأنا منهمر في بكاء يكاد يغرقني به.

فردّ عليّ البرنس قائلًا:

- يا إبني! أحيانًا الموت بيبعتنا إلى الحياة، فيرسم زي ما قلت إشارة تاخدنا إلى مكان نعيد فيه الأمل اللي بيربطنا بالحياة مرة تانية وده اسمه موعد مع الحياة... أما اللي احنا بنفقدهم، مش بنقدر ننساهم أبدًا، فهما بيسكنوا الروح والقلب طول العمر، وهيكونوا سعداء بيننا احنا لما نحقق ما يفيد الناس وأما يكون ذكرى طيبة لنا فيها
- "ولكن يا سيدي، القلب مايقدرش على تحمل بعدهم عني، أنا زوجتي وبنتي كانوا هما حياتي اللي أنا عايش بيها، ومن أجلها، ومنطقة الجبل دي كانت هي مقبرة لهم بعد وقوعهم من فوق الجبل، وأنا السبب، كنت مسرّع بعربيتي علشان أشوف البسمة في عيون سارة زوجتي وأنا باحقق لها حلمها اللي كانت عايشة عليه من سنين، إن يكون لها بيت من بيوت الريف الإنجليزي، ولكن دلوقتي حتى بعد ما رحت أحرق الحلم وأدمره زي ما دمر حياتي ماقدرتش، بعد ما رحت ولاقيت ريحة الخشب مالية المكان

وشوفت صورة سارة وهي تقول لي: أريد بيتًا رائحة الأخشاب تملأه، فوقعت ورحت في غيبوبة للصبح وبعدها سبت المكان وأنا عارف كويس إني مش هاقدر أحرق حلم سارة بإيدي، وفضلت أضرب الطرق بعربيتي لحد ما وصلت هنا على أبواب المزرعة وحسيت بصديقي يرسم لي أبواب القدر متجهًا لأبواب القصر ودخلت القصر وفتح لي الباب راجل متهالك من علامات الزمن اللي مرسومة على وشُّه وبنت تعزف نفس المقطوعة اللي سارة زوجتي كانت بتحبها واللي كنت بافضلها عن أي مقطوعة تانية ولما سألتني أنا مين وإيه اللي جابني هنا، ملاقتش قصادي غير سارة ومحستش بعدها بالدنيا إلا وأنا هنا في القوضة دي قصادك"

هذا ما قلته للبرنس ردًا عليه، وفي لهفة سريعة قال لي:

- اهدى يا ابني، القدر دايمًا بيتواصل معانا بإشاراته وعلاماته المكتوبة، أو المعزوفة في أي مكان، أما الراجل المتهالك، من علامات الزمن فهو الخادم موريس، هو خادمي من سنين كتير،

والشيخوخة طغت عليه زي ما طغت عليا أنا كمان وزي ما طغت على كل شيء هنا، أما البنت الجميلة اللي وجعتك وتسببت لك في الغيبوبة من عزفها فهي "نوران" بنتي، وهي تعشق الموسيقا، وتعزفها ليلًا ونهارًا وأنا هاجيبها لك تقدم لك اعتذارها على اللي عملته بدون قصد..

- سيّدي: ارجوك تقبل اعتذاري انت، لك ولها، مش هي السبب في اللي انا فيه، كل ده قدري وهي مجرد عاشقة للبيانو والموسيقى وهي ماتعرفش إن قدرها بيبجي مع شخص متدمر، يقع على أبواب قصرها لمّا يسمع عزفها المنفرد وشكرًا لك سيدي على كل ما فعلته لي.

الفصل الخامس
صراع العودة إلى الحياة

- إبني: انت مهندس معماري وتجيد فن العمارة وأنا راجل عجوز ماقدرش أعمل أي حاجة ولكن عندي إبني اسمه "البرنس إحسان" وهو في الخارج دلوقتي وهييجي قريب، وأنا كنت عايزك تساعدنا في بناء البيوت المحترقة في المزرعة وده هيكون عمل نبيل للفلاحين اللي الحرايق دمرت حياتهم هنا، فيا إبني شاب صغير زيك ممتلئ بالحيوية إيه علاقة الموت بيه!

كان طلبًا صعبًا جدًا من البرنس زادة عندما طلبه مني وقد قال لي: إنه معروف أقدمه له، وقلت له:

- إزاي هتطلب مني معروف وأنا زي عم موريس ولكن ليس بعلامات الزمن.. ولكن بلعنة الزمن عليّ وصحبة الموت لي.. إنه يا سيدي صديقي الوحيد اللي سكن قلبي أكتر من عام كامل، علشان ياخدني للأحباب اللي بعدهم دمر حياتي..

هكذا كان ردي على طلبه، فردّ عليّ:

- يا إبني... كلنا بنخسر كل يوم غالي وعزيز علينا نتمنى الموت صديق لنا بعدهم علشان نتخلص من حياتنا ونروح ليهم! ولكن مانعرفش قدرة الله فوق كل شيء وقدر ربنا هو اللي جيه بيك هنا للمزرعة علشان تتخلص من الصديق ده وتعرف إن كل حاجة في الدنيا دي بميعاد حتى الموت ليه ميعاد ربنا أعلم بيه، والحياة هي الأخرى ليها ميعاد رينا أعلم بيه والخروج منها بميعاد ربنا أعلم بيه والصدفة اللي جابتك هنا هي الأخرى بميعاد...

يا إبني: المزرعة دي مليانة بأشباح الموتى ورائحتهم، كانت من أجمل المزارع هنا في منطقة الجبل وكانت مليانة بالسكان، وكان فيها كل أنواع الزراعة ودايمًا مليانة بالأفراح والأغاني والألحان الجميلة والبهجة والسرور كان يعم في كب أنحاء المكان، ولكن في يوم جاء لينا صديقك "الموت" واجتاح المكان وشبّ الحريق في القمح في موسم الحصاد وكانت في نفس اليوم الرياح شديدة عصفت بالمكان واشتد الحريق وأكلت كل شيء هنا، حتى البشر والحيوانات وصار

بدلًا من عيد الحصاد، بقى حصاد للأرواح، وحرق وهدم ودمر وكل بيوت المزرعة، وكل ده بسبب صديقك الوحيد" الموت" صديقك اللي انت عايز تقرب منه – صديقك الخراب – وبقيت المزرعة من الوقت ده للأشباح.. تبعت منها رسايل وإشارات للقدر، وكان لك بعض الرسايل علشان تعيد اللي هدمه صاحبك وتدب في أركانها الحياة، وعايز منك بدلًا من أن تصادق الموت، صادق صديق جديد تملا بيه المكان بالخير والحيا، وترجع بيوت الفلاحين زي ما كانت، وتنشر هنا البهجة والسرور.

وده يا إبني رجاااء من راجل عجوز فات عليه الزمن بين أركان الأشباح وريحة الحريق والموت لسنوات كتير زي ما قلت انت، قعرفت ليه كانت إشارات القدر كانت هي الملجأ الوحيد لينا علشان نصلح لك عربيتك علشان تكمل الطريق مع صديقك الموت!

ولكن دلوقتي عرفت ليه لازم تتخلص وتخلصنا من صديقك الموت، بعد ما عمله فينا من خراب..

يا ابني.. انت جيت هنا علشان نساعدك ولكن دلوقتي أنا باطلب منك انت المساعد علشان تكمل معانا الطريق ولكن طريق الحياة، بدلًا من طريق الموت... ودلوقتي انا هاسيبك يا إبني ترتاح، وتفكر في اللي قلته وأنا أطلب من الله أن ينير لك طريقك، ويبعد عنك الصديق هذا، وتساعد الفلاحين علشان ترجع البهجة لروحهم مرة تانية، ودلوقتي أنا هاسيبك على خير علشان ترتاح وتفكر في الأمر كويس.

هذا ما استمعت إليه من الطبيب "جلال زادة" بكل تركيز إنه فعلًا رجل حكيم يعرف جيدًا الفرق ما بيت الموت والقدر..وتركني البرنس جلال زادة وأنا أصارع نفسي بالتفكير في الأمر، أأكمل طريقي مع صديقي الموت هذا؟ أم أظل هنا وأقوم بإسعاد الفلاحين وأكون سببًا في رجوع البهجة والسعادة إلى بيوتهم؟ وإلى حياتهم مرة أخرى؟

بقيت أفكر حتى أشرقت الشمس وأنا أسمع صوت سارة ترشدني إلى هذا الطريق، وعند الصباح عندما قابلت السيد جلال زادة ولكي أسعد سارة حتى في موتها، وافقت على أن أقوم بإسعاد الفلاحين هنا، وأعيد لهم بناء البيوت كما كانت في عهدها السابق.. وشعرت بعدها أن روح سارة تساعدني كما كانت تفعل معي في السابق، تضمني إليها بكل حب وحنان، شعرت بالربيع يأتي مرة ثانية، والخريف يغرب بصديقي معه.

الفصل السادس
"فجر جديد"

وجاءت إليّ، وكانت هي مطلع الفجر الجديد لي، تعرفت عليها وكنت استمتع بألحانها وعزفها المنفرد، بشجن وحنين غريب يأخذني إلى الحاضر، ولكن بطريقة تضم رائحة الموت معها، كانت إنسانة رائعة في سرد الحكايات بطريقة تشعل أجواء القصر بالسعادة والمرح، وتغرقك معها في كل حكاية تسردها كأنك تعيش بداخلها ومعها، وكل مرة تشعر وكأنك في مكان جديد بحكاية جديدة وعزف جميل منها، وكل ما نظرت إليها أرى الشبه الكامل بينها وبين سارة وكأنها هي وكأن الزمن يعود بي إلى الوراء، إلى أبواب الحلم القديم..

هي "نوران" الفجر الجديد الذي سطع بسماء عمري، والحلم الجديد الذي ما شعرت دومًا بقدومه نحوي، والبدر الجديد الذي ظننت كثيرًا وكثيرًا بأنه قادم من بعيد ليضئ حياتي، ومرت عدة أيام وأيام على وجودي بقصر البرنس "جلال زادة".

في مساء أحد الأيام، ونحن نجتمع على عزف الأميرة" نوران" وكالعادة يدق الباب ويفتح العم "موريس" ويصيح وتفهم نوران أن أخاها "البرنس إحسان زادة"عاد من السفر وتجري نحو الباب وتضمه بسرعة وبقوة وبفرح..

- "أهلا يا إبني..أعرفك بضيفنا المهندس فريد عبد الحميد، المهندس المعماري اللي وصل لنا من السماء، علشان يعيد بناء مزرعة الأشباح.

هذا ما قاله البرنس جلال زادة، عندما دخل إلينا ابنه العائد من السفر، ووجدني أجلس إلى جوار أبيه، وبعد ما قام بتقبيل والده وقام والده بالترحيب به، ولكنه وجد على وجهه بعض العلامات التي تدل على إنه يريد أن يسأل مَن هذا؟

فتبسم البرنس "إحسان زادة" ورحب بي بكل ود وسرور، وجلس معنا نتسامر بشدة وبحب، كان البرنس "إحسان" شخصًا لطيفًا ومثقفًا ويجيد الشعر والأدب، وكان على درجة عالية من الثقافة والمعرفة، وكان نادرًا ما يحب القراءة والاطلاع، وكان أجمل ما فيه، إلقاء الشعر العربي علينا باللغة العربية الفصحى.

والآن اكتملت العائلة الجديدة لي، التي أصبحت لي عائلتي الثانية، واعتبرت البرنس "إحسان" كأخي نبيل، فهو فعلًا إنسان رائع ومحب وعطوف، وكان دائمًا البرنس "جلال زادة" يشعرني وكأنني كإحسان ابنه، ولأول مرة أغني ونوران تعزف على البيانو كما كنت أفعل مع نوران وصبا، وكانت نوران سعيدة جدًا بصوتي وغنائي معها، وبدأت فعلًا في العمل، وكان معي البرنس إحسان، رفيقي الجديد لكي يساعدني بكل ما لديه ويقدم لي كل ما أحتاج إليه، في بناء البيوت، وكان يساعدنا أهل المزرعة لكي أنجز العمل في أقل وقت، وترجع بيوتهم كمان كانت في عهدها السابق.. بل وأفضل، وكنت مستمتعًا معهم كثيرًا وسعيدًا بتقديم المساعدة لهم وبناء المساجد التي أكلتها النار في موسم الحصاد، وكنت أرجع للقصر لأجد "نوران" وأجلس معها وأستمع إلى حكاياتها الممتعة وعزفها الرائع، وجمالها المبهر ونظراتها التي كانت تهوي بي، كلما وقعت عيني عليها، وكل ليلة تطلب مني "نوران" أن أغني لها...

"فريد..هو انت زوجتك كانت اسمها إيه! وإيه كانت العلاقة بينكم! أو كانت عاملة ازاي يعني! اممممممم .. وبعدين يعني هو انت..كنت بتحبها! أقصد يعني كنت بتحبها للدرجة اللي مخليه نفسك هانت عليك وممكن تقتلها علشان تبقى معاها؟

شعرت بشيء من الغيرة على وجه" نوران" وهي تسألني كل هذه الأسئلة، فنظرت في عينيها والدموع تملأ عيني وكلي شجن ولأول مرة وقلت لها: أشتاق، ويملؤني الحنين الجارف إلى أحضان "نوران" وليست سارة هذه المرة، والدموع تنهمر من عينيّ كالسيول دون توقف، وتسرع "نوران" إليّ وتضمني إلى صدرها، وشعرتُ بقلبي يضم" نوران" إليه وينبض من أجلها بدلًا من سارة، وعلمت في ذلك اليوم أن قلبي هوى "نوران" وأحبها وأحب دفء حضنها لي، فلقد نسيت معه آلامي ووحدتي وغربة الأيام الماضية، وذلك بعد عدة أشهر قضيتها في قصر البرنس جلال زادة.

ومنذ ذلك اليوم وأنا لا أفارق "نوران" أبدًا ، وكانت تتعقبني بحبها وعطفها في كل مكان أنا أتواجد فيه، حتى وأنا أبني بيوت الفلاحين في المزرعة، وكنت أصنع حلم الفلاحين الذي احترق، وأصنع حلمًا جديدًا لي بين أحضان نوران ، وصارت الدنيا مليئة بالأمل والحياة مرة ثانية ورأيت مرة أخرى زهور الياسمين بألوانها ناصعة البياض، وروائحها الجميلة المميزة وضوئها الباهر.

الفصل السابع
"موعد مع الحياة الجديدة"

وبعد اللون الأسود الذي صار يتعقبني خلال الفترة الماضية، وشعرت في ذلك اليوم أن الدنيا أبدلت ثوبها الأسود، وموعدي مع الموت بموعد آخر مع الحياة، وكانت هي.... موعدي مع الحياة...الحياة الجديدة التي انتشلتني من بين أحضان الموت - صديقي السابق – والذي لم يعد صديقًا لي منذ ذلك اليوم الذي ظهر لي بفجر جديد وحياة جديدة "هل الشبه الذي بين سارة ونوران هو سر حبي وتعلقي بها؟

هكذا كنت أسأل نفسي دائمًا ليأتي الرد من قلبي بشيء واحد:

أن نوران هي النور الجديد في حياتي الذي أتى لينقذني من صديقي السابق، ولكن الآن لا أريد معرفة السبب، أهل هو الشبه! أم لا! ما عاد هذا يهمني أبدًا، كل ما يهمني حبي وتعلقي بنوران والتخلص من الموت، حتى لو كان الشبه هو رسائل القدر الجديد لي، وحاولت بكل جهود أن استمتع بالسعادة التي تغمرني الآن وأنسى كل آلام الماضي.

"هو إيه بالنسبة لك يا نوران! وأتمنى منك من قبل ما تجاوبي إنك تتريثي في حبك ليه شوية، وفكري مرة واتنين وتلاتة قبل اتخاذ أي قرار، إبنتي الحبيبة نوران، أنا اللي ربيتك بعد وفاة والدتك وخايفة عليكي من الحب المفاجئ اللي واخدك لعالم أنا ماعرفش نهايته إيه، عالم مالناش مكان فيه، وانتي يا حبيبتي عارفة ده كويس، فريد مش من عالمنا، ومش هتوصلي معاه لأي شيء، وبعد تعلقك وحبك ليه، لو ماكملتوش... هتعملي إيه في نفسك وفي عقلك بعد كل الحب ده، وهتعملي إيه في عالمك انتي

فكّري يا بنتي.. فكّري قبل ما ترمي نفسك في هلاك انتي مش عارفة هيوديكي لفين، الأمر مش سهل زي مانتي شايفة يا حبيبتي، انتي ماتنفعيش لفريد زي مانتي فاكرة، انتي مجرد رسالة من رسايل القدر ليه"

هذا ما سمعته ذات يوم ما من الخادمة "فاروزة" خادمة الأميرة نوران، تقوله لها..

وكانت كلمات فاروزة تخترق قلبي، قبل عقلي معها، لا أعلم لماذا... هل لأن قلبي تعلق بنوران وخاف من فقدها؟ أم أن هذه العبارات هي غريبة عليّ ولا أفهم منها شيئًا مما تقوله فاروزة لنوران؟ ولكن فسرت الموقف وقتها بأن نوران من بيت ملكي وأنا من وجهة نظر فاروزة من عامة الشعب.

وأن الجميع لا يوافق على هذا الحب والارتباط، وارتضيت بهذا التفسير وقتها ولكن لم أتأثر بكلام فاروزة.

وحاولت جاهدًا أن أسعد نوران بكل ما في قلبي من حب لكي نكمل معًا الطريق إلى النهاية، رغم أني كنت أرى أشياء غريبة هناك وبالأخص نظرات العم "موريس" خادم البرنس "جلال زادة" لي، نظرات غريبة غير مفهومة.

كان إنسانًا غريب الأطوار نظرته لي دائمًا حادة كأن بيني وبينه شيئًا لا أعرفه أشعر دائمًا بكراهيته لي، وأنه يريد التخلص مني ومن وجودي في هذا القصر بأي طريقة ممكنة، ولكن عندما كانت تتواجد نوران في المكان، كان يبتسم لي ويذهب وكأنه يتوعدني بشيء لا أعلمه، وكنت دائمًا ما أشعر بشيء غريب يربطني بهذا القصر، وحبي لنوران كان هو الأمل الوحيد بعد كل ما مات بداخلي، كنت أغمض عيني وأسمع صوت الموسيقى، وهي كانت بالنسبة لي هي الحياة.

وعزف نوران كان قلبي الذي ينبض مع كل دقة على البيانو، وحضنها الحنون وعطفها عليّ كان دائمًا يعطيني الأمل والقوة والحياة فيما هو قادم لي، ورغم بساطة "نوران" كانت تحتويني عن العالم كله، تملأ جسدي بالنشوة القديمة، وعندما تبتسم لي، أسمع صوت كل العصافير في الكون وهي تغرد

حولي، وأتذكر أنني كنت في يوم أجلس في غرفتي وفي هذا اليوم، تذكرت سارة وصبا عندما رأيت زهور الياسمين في الغرفة، .وضعتها نوران لي في المزهرية ولا تعلم أنها الزهور الوحيدة التي تصيب قلبي بالألم، وبعدها خرجت نوران من الغرفة وأنا الألم يعتصر قلبي ويمزق جسدي.

- "فريد حبيبي.. لما كل هذه الدموع الآن؟"

قالتها لي "نوران" عندما دخلت عليّ وأنا غارق بدموعي وأشعل السيجار، والزهور أمامي تحرق قلبي معها وكنت أقف أمام النافذة وجسدي كله يرتعد من الألم ثم شعرت بلمسة يديها على كتفي، وكانت أحن علي من لمسة الأم لابنها، الماضي بكل ما فيه من آلام صار ذكرى تحاول أن تخرج منها إلى الحاضر يكل ما فيه وتعيش بين جانبيه، وتحلم بحياة جديدة تخلو منها طيات الألم، واقتربت مني كنسمة الصيف البارد وقبلتني قبلة عميقة امتلكتني بها، في هذه اللحظة وبعدها قالت لي:

فريد يا حبيبي.. أنا عايشة الحياة من دلوقتي علشانك انت ماتضيعش اللحظات دي في الماضي وذكرياته الأليمة، وتوجع قلبي معاك وتجرح إحساسي بمشاعرك القديمة لسارة، وتشعل نار الغيرة في جسدي اللي عايز يتهوى بداخلك، ويشتعل بعطر جسدك الآن.

وضمتني إليها بقوة، وانهار جسدي معها في هذا اليوم وانصهرت بداخلي نشعل جسدي بنار جسدها وغيرتها عليّ من الماضي بكل ما فيه من قصص وذكريات وكل شيء، ولكن عندما أتلمس جسد نوران وانصهر معها الغريب في ذلك الوقت أشعر وكأنني بين أحضان وهمسات سارة، وحتى لمستها وحرارة جسدها وشعرت بنفس الحالة التي كنت عليها وأنني أذوب في جسد سارة، ولكن وفجأة شعرت بنوران وانتبهت عليها ولكن بعد أن انقضى الأمر وبعد أن تخلص جسدي من حرارته وشهوته.

ولكن الغريب في الأمر أن جسد نوران كان باردًا جدًا، وكان فصل الجليد يجتاح الفراش بكل برودة وصارت نوران ترتجف بشدة لا أعلم لمَ، لا أعلم أيضًا كيف بعد كل هذا التلمس الجسدي من المفترض أن ترتفع درجة حرارة جسدها، لا كل هذه البرودة، وشعرت للحظة أنني كنت مع سارة بحرارتها ولم أطق جسد نوران.

ولكن كيف؟ ونوران معي على الفراش بدون ملابس وأنا وهي تحت غطاء واحد وهي ترتجف بجواري ويدي تحاول تدفئتها بتلمسي لجسدها وشهوتي تملأ جسدها والفراش.

ولكن وفجأة بعد أن جئت أقبلها ثانية لكي تهدأ، أسرعت ونهضت من على الفراش وارتدت ملابسها وذهبت مسرعة من أمامي لا أعلم لمَ!، وإلى أين اختفت ومر على ذلك الأمر يومان، لا أعرف أين نوران! وماذا حدث لها!

ومر اليومان وأنا أعمل في المزرعة وأحاول السؤال عنها ولكن بحذر شديد، وألوم نفسي على ما فعلته معها، وكيف لم أتمالك نفسي وشهوتي وقتها؟!

ولكن تحدثني نفسي قائلة:

- نوران كانت عايزه ده فعلًا، وهي تعرف فعلًا أنت ازاي بتحبها، وإن اللي حصل بينكم من حبكم الشديد لبعض، وإن أنت بتتمنى الإرتباط بيها في أسرع وقت.

الفصل الثامن
"البحث عنها"

احترت كثيرًا، واحتار قلبي، أين نوران؟ وإلى أين ذهبت؟

أغضبت من ما دار بيننا ومن الذي فعلته عندما كانت معي؟ أنا أحبها بشدة، وأريدها معي دائمًا وأبدًا، وأعلم جيدًا أنها تحبني بقدر الحب الذي أكنّه لها ولكن بعد غيبتها عني كانت الحياة سوداء، وشعرت بسوادها حولي مرة أخرى، وانتابني الغضب.

وانتابتني الآلام والأوجاع والجراح والانشغال والتفكير، وأنا أبحث عنها في كل مكان حولي، في القصر في المزرعة في عيون الناس في زهور الياسمين، وأبحث عنها كل ما أجد ما يذكرني بها، وأبحث عنها داخلي وألوم نفسي، أأنا كنت سببًا في فقدها؟، أم مشاعري المتدفقة تجاهها؟، أم شهوتي وحرارتي عندما وجدتها معي على سرير واحد كما خلقها الله؟ أم ذكرياتي التي كانت تؤلمها وتشعلها بنار الغيرة؟ أم خوفها من علاقتنا؟

ومرت عليّ هذه الأيام وكأنها الجحيم بعينه، وشعرت بأنني أسكن القصر بمفردي لا أحد يتكلم معي أبدًا، وكأن الكل يعلم بما حدث في غرفتي مع نوران.

وصرت في القصر وكأنني عارٍ أمام الجميع، لا أعلم ماذا قالت نوران لهم.

وكان الخجل يعتصر جسدي والخوف يطوق قلبي بأن أفقد نوران إلى الأبد كما فقدت سارة، وظلت عاصفة الجليد التي اجتاحت الفراش والمكان يوم أن كنت بين أحضان نوران قائمة لا تفارقني في هذين اليومين ورغم أننا في فصل الربيع بكل جماله وحرارته، وبعد يومين وبعدما أحرقت أكثر من مائة سيجارة وكل الوساوس والظنون تجتاح عقلي والألم يخنق نبض قلبي من الخوف الشديد بفقد نوران.

وفي ذلك الوقت كنت خائفًا من أن يرجع لي الصديق القديم مرة أخرى، كنت أحاول الهروب منه بأن أغمض عيني وأسمع أنغام نوران وهي تعزف ولو حتى في الحلم مرة أخرى ، وأبحث عنها في كل مكان عن رسالة جديدة من القدر لكي يشعر قلبي بالأمان.

الفصل التاسع
"إطلالة جديدة"

وفي يوم وأنا أجلس كعادتي في هذه الأيام التي مضت عليّ بمفردي على الإفطار، يدخل عليّ الجميع ويجلسون على المنضدة للإفطار معي، وصمتنا قليلًا...

وبعدها دخلت علينا نوران وهي في كامل تألقها وجمالها والابتسامة الناعمة المعتادة عليها وتلقي علينا تحية الصباح ومعها بعض الزهور الجميلة وتضعها أمامي في المزهرية، وتقترب وتقبل أبيها وتجلس بجواري وكأن لم يحدث شيئًا ولا كأنها اختفت ولا ليوم واحد على ذلك كأننا مع بعض أمس

وجلست معهم وأكملنا الإفطار وبعدها ذهب الجميع، وذهبت وأنا غاضب مما حدث لأنها استهانت بي وبحبي لها.

وخرجت إلى المزرعة لكي أكمل عملي ولم أنطق بكلمة واحدة ولكي أبتعد عن نوران قليلًا لكي لا أجرحها بكلامي وأنا في هذه الحالة من الغضب ، وذهبت إلى المزرعة أشعل السيجار لكي أخرج النار المشتعلة بداخلي مما حدث منها، بعد اختفائها لمدة يومين.

وفجأة التفتت خلفي لأرى نوران تلعب مع الأطفال وتداعبهم بكل حب وتجري ورائهم، تحلق خلف الفراشات وتغني معهم بصوت عال تريد أن يصل إليّ لكي أهدأ من غضبي الذي تشعر به عن بعد

ولكن عندما اقتربت مني شعرت بأن الشمس اشرقت على بعد طول غياب وأن الحياة رجعت لبسمتها مرة أخرى وبدأت في التقاط أنفاسي وكأنني كنت في حالة من الموت المؤقت بدونها:

"كنتي فين كل ده؟

وكنتي مختفية فين اليومين دول؟

كانت أسئلتي لنوران عندما اقتربت مني وحاولت تقبيلي فرفضت ذلك، ولكن حاولت مرة أخرى:

" حبيبي..

تركب الخيل معايا

أنا عندي جواد جميل جدًا

كأنه بساط الرياح

لما باركب عليه أشعر كإني طايرة في السما

وباشوف الحياة جديدة من فوق ظهر الرياح

تيجي معايا ليه؟

هكذا ردت متهربة من أسئلتي وكأنها لا تريد أن تتكلم في ذلك الموضوع، وشعرت أيضًا أنها تخجل مما حدث وترفض الكلام فيه فاحترمت رغبتها وخجلها وذهبت معها إلى "رياح"

وكان هذا اسم جوادها وتطير به كما تقول هي، وركبت معها رياح وانطلق في أرجاء المزرعة بين بقايا الأشجار التي لم تحترق ، وذراع نوران يطوق جسدي وقلبي معًا، وكما قالت لي نوران: كأنه الرياح تعصف بنا في كل مكان وفعلًا كنت أشعر بقلبي وجسدي يهوي من فوق الرياح، وهو يطوف بين بقايا الأشجار بسرعة رهيبة وعطر نوران يأخذني إلى عالم آخر، عالم مسحور لا أرى فيه إلا بلورات من الزجاج تضيء من بعيد، وعندما تقترب لا أراها وتبتعد مرة أخرى.

وكان الرياح يتسابق معها ولم تشعر بالوقت ولا بأي شيء حولنا ونحن في قمة السعادة، ولكن أسدلت علينا ستائر الليل ظلامها وتوقف بنا رياح وذهبت أنا ونوران إلى الإسطبل لندخل رياح إليه.

وأسكننا رياح مكانه وصارت "نوران" تطعمه السكر بيديها وكانت سعيدة بما تفعله مع رياح وهو ينظر إليها بحب، وبعد فترة رجعت من الوقت أنا و "نوران" إلى القصر ودخلنا وكان البرنس "جلال زادة"

يجلس أمام بعض الأوراق يقرأ فيها وكان أمامه البرنس "إحسان زادة" يقرأ في كتاب من كتب الشعر العربي.

وهذا ما يكتب عليه رأيته عندما ألقينا عليهم تحية المساء ورفع البرنس "إحسان زادة" يده بالكتاب ورد علينا التحية

وكأن لم يحد ث أي شيء في اليومين الماضيين وجلسنا معهما وصرت أناقش البرنس "إحسان زادة" في الشعر العربي مما فيه من بلاغات وتعبيرات وتشبيهات وجمل رائعة

"الشِعر العربي، فالعرب رواد الشِعر، وبينطقوا اللغة العربية بفصاحة، وعمق جميل جدًا، وتشبيهاتهم روعة جدًا، بتاخد روحك وعقلك لعالم الأحلام الجميلة، كقول الأصمعي:

أَبَى الْحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ *** فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَ طَنَّبَا

إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ *** وَإِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا

وَ يَبْدُو فَأَفْنَى ثُمَّ أَحْيَا بِهِ لَهُ *** وَ يُسْعِدُنِي حَتَّى أَلَذَّ وَ أَطْرَبَا

هذا ما قاله لي البرنس "إحسان زادة"، وأعجبتني الأبيات جدًا وقلت له:

"أحسنت أيها الشاعر، أجل إنها من أجمل وأبدع وأروع أبياته، ولكن أيضًا هناك شاعرًا جميلًا ومبدعًا وأحب قراءة كلماته، وهو شاعر راقي من

أصل عراقي، ورائد من رودا الشعر العربي الحديث، وهو من مؤسسي مدرسة الشعر العربي الحر، وهو تأثر بالشعر العربي الإنجليزي"

هذا ما قلته لإحسان زادة، ردًا عليه أثناء حديثنا وحوارنا معًا، ولكن عندما سمعت نفسي وأنا أقول الإنجليزي تذكرت سارة وبيت الريف الإنجليزي الذي دمر حياتي لكن الآلام هذه المرة ليست بالحد التي كانت عليه في الماضي، ورأيت " نوران" وكأنها تعلم بهذه الكلمة أني تذكرت سارة وصبا بها وعاد لي الألم من جديد.

فأسرعت بكل ذكاء وقالت لي:

وماذا عن هذا الشاعر المتميز؟ من هو؟

*إنه بدر شاكر السياب.. ولكن أعشقه عندما يقول:

هل تسمين الذي ألقى هياماً؟

أم جنونا بالأماني؟ أم غراما؟

ما يكون الحب؟ نوحاً و ابتساما؟

أم خفوق الأضلع الحرى إذا حان التلاقي

بين عينينا فأطرقت فراراً باشتياقي

عن سماء ليس تسقيني إذا ما؟

جئتها مستسقياً إلا أواما

وردّ عليّ البرنس إحسان مكملًا للأبيات وهو يبستم معجبًا بكلمات السياب قائلًا:

العيون الحور لو أصبحن ظلاً في شرابي

جفت الأقداح في أيدي صحابي

دون أن يحظين حتى بالحباب

هيئي يا كأس من حافاتك السكرى مكانا

تتلاقى فيه يوما شفتانا

في خفوق و التهاب

و ابتعاد شاع في آفاقه ظل اقتراب

وبعدها نظر إلينا البرنس "جلال زادة" وكأنه يسمعنا ومستمتع معنا بكلام بدر شاكر السياب وردّ علينا مكملًا الأبيات

وهو يرشقني أنا ونوران بنظراته قائلًا:

كم تمنى قلبي المكلوم لو لم تستجيبي

من بعيد للهوى أو من قريب

آه لو لم تعرفي قبل التلاقي من حبيب

أي ثغر مسّ هاتيك الشّفاها

ساكبا شكواه آها ثم آها؟

غير أني جاهل معنى سؤالي عن هواها؟

أهو شيء من هواها يا هواها؟

أحسد الضوء الطروبا

موشكاً مما يلاقي ان يذوبا

في رباط أوسع الشّعر التثاما

السماء البكر من ألوانه آنا و آنا

لا ينيل الطرف إلا أرجوانا

ليت قلبي لمحة من ذلك الضوء السجين

أهو حبّ كل هذا؟! خبريني

وكان يقول البرنس "جلال زادة" هذه الكلمات وأنا أنظر في عيون نوران وكأن أسألها وأعيد عليها سؤال بدر شاكر الثياب هل هو حب؟ خبريني؟

وكان البرنس جلال ينظر إلي وكأنه يشعر بما داخلي وبما داخل قلبي لنوران ويقول لي ولها في صمت: هذه الكلمات من أبيات بدر السياب موجهة إليكما أنتما، وكانت نوران وحمرة الخجل على وجهها من كلمات أبيها

ونظراته التي كانت تشعرنا بأنه كان يعلم بحبنا، فأنا وهي والسياب شاهد على قصتنا، على حبنا، على كلماتنا، على مشاعرنا، وشهد علينا بكلمات أبيات شعره وسؤاله لنا في آخر القصيدة: "هل هو حب؟ خبريني"..

آه يا نوران

هل هو حب؟ أم عشق؟ أم هواء يأخذ القلب ويهوي به ويضمها إليك، أم هيام؟ أم غرام؟ يأثر القلب ويكون عبدًا له، وبعد ما صارت المناقشة بيننا وكل منا ينطق بيتًا من الشعر وكانت هذه السهرة رائعة

"أبنائي.. الآن الكل يذهب إلى النوم، لكي نرتاح لنكمل معًا بناء المزرعة لكي تهدأ أرواح الفلاحين ويسكنوا من حولنا"

هذا ما قاله لنا السيد "جلال زادة"

ولكن لم أفهم في ذلك الوقت قصد السيد جلال زادة وذهبت دون تعليق عليه وذهبت معي نوران إلى النوم، وتركت البرنس إحسان يتحدث مع البرنس جلال، لا أعلم في أي شيء يتحدثان، ولكن ذهبنا معًا حتى وصلنا إلى الطابق العلوي وقبلتني نوران ودخلت غرفتها ودخلت أنا الآخر غرفتي ولكن ليس للنوم بل لأسرح في أبيات بدر شاكر السياب والتي كنت أود أن أسأل نوران عنها: هل هو حب؟ خبريني..

وبقيت طوال الليل شاردًا في خيالي وأردد أبيات الشعر في عقلي وأسرح في عيون نوران ورؤيتها، ونورها المشرق الذي لا يضاهيه نور الصباح "عايزاك تيجي معايا في أجمل مكان هنا في المزرعة"

سمعتها من نوران عندما وجدتها تقف عند رأسي وتضيء أنوار الغرفة، لا بل تضيء الغرفة بنورها وجمالها البهي

وافقت.. وذهبت مع نوران وهناك وقفت أمام شجرة الساسابان وكأنها تملأ الأرض كلها بظلها، ووقفت هناك أنا وهي وصرت أسمع الموسيقى، وصوتها يملأ أنحاء المكان، وكان ساحرًا يعزف وأنا ونوران نتراقص عليه، ووضعت يدي حول خصرها ويدي الأخرى أتلمس عنقها الجميل، وكانت كمهرة عربية أصيلة بين يدي، ترفع عنقها بدلال إلى السماء، وهي ترتدي عقدًا من اللؤلؤ يتناثر على عنقها بضوئه وصرت أتلمسها، واقتربت مني وسمعت صوتها الخافت وهو يهمس لي قائلًا:

"أنت ساحر! كل أما تلمسني، ترتفع حرارة جسمي، وتضيء اللؤلؤ المنثور على رقبتي ليشع بحرارته وبدفء المكان، فقبلتها بنشوة عارمة، كنت أذوب بداخل ثغرها استمتع بشهدها وشعرت بكونها نبيذًا معتقًا أسكر منه.

وهمست على شفاهي قائلة بصوت غير مسموع:

ما أحلى شهد هذه القبلة، وما أحلى همس حبك بداخلي وما أجمل الذبذبات التي تطوق جسدي بنشوتها، وصارت تتمايل كأنها غصن من أغصان الساسابان التي نقف تحتها وهي ترقص بين ذراعي هائمة، بين أحضاني وقلبي وجسدي مولع بها، وصارت تتلمسني، وفقدت السيطرة وقتها على نفسي وصرت أتلمس خصرها، وعندما رمت بشالها على الأرض شعرت وكأن طوفانًا من اللؤلؤ الأبيض يحوم فوق جسدي يشعرني بنعومته، وصرنا نتقلب على الأوراق الخضراء لأرى أهل هو ضوء النهار؟ أم هذا ضوء لهيبها.

وفقدت التركيز حينذاك واشتعل البركان بداخلي يطلب منها أن تطفئه، وهي الأخرى كانت كالعاصفة الهوجاء تعلو بالبركان إلى أعلى قمته حتى يثأر حممه حولها فنغرق فيه أنا وهي، وبعد أن هدأ البركان وهدأت العاصفة نمت أنا وهي بين أحضان شجرة الساسابان وبعد فترة وهي على ذراعي علمت في هذه اللحظه أن الحياة لا تتوقف عن النبض والحب أبدًا وأن صديقي الموت كان كاذبًا، فالحياة أجمل من أن نصادق الموت ونرحل معه فكل حياة تنتهي وراءها حياة أخرى تبدأ.

"هل هو حب؟ خبريني.."

قلت هذه الكلمات اليوم وأنا بين أحضان نوران بدأت حياة جديدة وتذكرت كلمات بدر السياب، وأنا أسأل نوران عن كلمات السياب أسمع صوت الموسيقى تنساب بنعومة تحرق كل ذرة في جسدي، وأبيات شعر السياب تتخلل روحي وقلبي، ولكن نوران ابتسمت ابتسامة غريبة تجمع فيها كل التناقضات وهي تتمايل بين أحضاني.

ونظرت حولها وكأنها تجمع كل ما لديها من قوة لترد على سؤالي وهي ترفع عنقها وكأنها تضاهي ارتفاع شجرة الساسابان ونهضت وطلبت مني أن أكمل الرقص معها، وأحاطت بيديها حول رقبتي في هدوء شديد وبدأت تكمل وتتمايل مع أنغام الموسيقى التي تجعلها تنساب بين يديّ كأنها قطرات من الماء البارد في فصل الصيف وعطرها يحيط بكل المكان، كأنه عطر من عطور الجنة ينثر شذاها ويجمع معه كل ما تبقى لي من أحلام لكي أكمل معها الحياة وضمتني قليلًا ومدت يدها وأخذت يدي ووضعتها على صدرها الذي يضاء بنوره كاللؤلؤ الأبيض.

الفصل العاشر
"حب جديد"

أحبك ...أحبك...أحبك.. فهو عشق وهوى وغرام يأخذ بي ويتخلل الروح ويشعل نار الجسد.

ويطوف بي ويرفع بعشقه إلى أعلى قمة اللذة ونشوة المنتهى، هذا ما قاله لي قلبها، عندما وضعت يدي عليها سمعته يدق بأعلى صوت عندها يصرخ بحبه لي وهي تقول معه، فصرخت وضممتها وصرت ألف بها وأقبلها وهي بين أحضاني حول أوراق الساسابان المَلقي حولنا..

"أنا الآن شعرت بأن الربيع قادم لا محال وحبك لي هو زهور الربيع التي فقدتها منذ وقت طويل ، فأنتِ نبض الروح ونسيم الجسد وربيع أيامي القادمة، هذا ما قلته لها بأعلى صوت خرج مني وأنا في قمة شغفي وحبي وسعادتي وطمأنينتي، وكنت أشعر بأني ولدت من جديد بين يدي نوران، وكنت أشعر أن العمر قبلها ما كان، وأن العمر بعدها لم يكن.

وعند هذه اللحظة علمت حكمة حياتي بأن كل شخص في هذه الدنيا على موعد مع الحياة، ونوران هي الموعد الذي رجع قلبي وجسدي إلى الحياة.

أفكر اليوم لمَ سمحت لصديقي الموت أن يدمي قلبي؟ ويطوف بي إلى الخراب كل هذه الفترة الماضية؟

ولمَ كنت أجعل الموت يعبر بدون حزن أو مقاومة ويكون صديقي الوحيد؟ لمَ سمحت لكل هذه المشاعر السيئة أن تسكن قلبي وأن تنسج فيه خيوطًا من آلام ولو كنت شعرت بهذا من يومها؟ لمَ كنت بقيت طوال هذه الفترة مع الماضي وأظل أقف مع الموت على أبواب الرحيل إلى العالم الآخر دون أن أغلقه أو أن أتراجع إلى حيث الحياة وأعطيها فرصة أخرى أو بدايات جديدة؟

والآن أعلم وأشعر بأنه من المؤكد أنني لم أعد كما كنت قطعًا حب نوران يعبر بي ويرشدني إلى طريق الحياة لذلك أوصدت أبواب صديقي الموت هذا الذي رافقني طوال الفترة الماضية ولا رجعة له أبدًا.

ومنذ هذا اليوم وأنا أحاول تعطيل الأفكار السلبية التي تمر في حياتي وبدأ نهار جديد وحياة جديدة مع من حن لها قلبي ومشاعري واليوم علمت أن القدر يبعث برسائل جديدة لبدايات جديدة.

وتأكدت أن كلمات بدر السياب أكيدة وأن الإجابة صارت معي بهمس نوران في قبلتها وضمتها لي.

وكانت هي الكلمات التي ردت إليّ الحياة وصنعت لي حلمًا جديدًا أعيش بداخله وأستمتع به وكان هو الدواء الشافي لكل ما مضى بي من جروح وآلام ورجعنا أنا ونوران والهيام يغدو بنا إلى عنان السماء وأرواحنا تحفق من نشوة الحب ولذة المنتهى، وأرجلنا تطير لا تلمس الأرض وشعرت وكأنا يدًا تلمس أعناق السماء وعندما وصلنا إلى القصر كل منا يريد أن يدخل غرفته ليكمل حلمه بعيدًا عن الأعين ولما دخلنا إلى بهو القصر.

لم نرَ أحدًا فأسرعنا إلى الطابق العلوي لكي ندخل الغرفة دون أن يشعر بنا أحد في القصر ودخلت الغرفة وبعد فترة جاءت إلى نوران ودخلت معى الفراش لكى نكمل الحلم معآ وقضت معي هذه الليلة وصرنا نستمتع بكل جزء من الحلم وهى بين أحضانى تضئ أرجاء الغرفه كأنه القمر فى ليلة البدر .

وعندما أشرقت الشمس ذهبت نوران إلى غرفتها لكى لا يراها أحد من سكان القصر، وغفت عيني لا أعلم كم من الوقت بعدها ولكن رأيت سارة في حلمي وهي تنظر إليّ بنظرة من الشفقة، وتمد يدها وتتلمس كتفي كما تكون تواسيني ولا أعلم لماذا تفعل هذا معي!

فتصورت أنها تغير عليّ من حب نوران، ولكن أفيق من الحلم والعم موريس يحاول أن يوقظني من نومي لكي أنزل على الإفطار.

وفعلًا نهضت من على الفراش وخرجت من غرفتي ورأيت نوران هي الأخرى تخرج من غرفتها، فذهبت أتطلع حولي لكي أرى أي أحد في الطابق العلوي ولم أر شيئًا فذهبت أحضن نوران، وأقبلها قبل نزولي إلى الإفطار وكانت هذه هي الوجبة الأكثر شهية عندي.

ولكن حاولت نوران أن تتركني لكي تنزل قبل أن يرانا أحد ولكن حبي وحبها لي كان أقوى من محاولاتها وظللت أقبل فيها إلى أن رأتنا الخادمة فاروزة وأنا أضم نوران بيد وأقبلها بحرارة بالغة، وأذوب بداخل جسدها وهي الأخرى كذلك ولا نرى من حولنا، وجاءت فجأة فاروزة وخطفت نوران من بين أحضاني وأدخلتها الغرفة وحاولت أن أعلم ماذا ستفعل وتقول فاروزة لنوران وهل ستخبر البرنس جلال بما رأت أم أنها تكتفي بتعنيف نوران على ما رأت وعلى ما حدث منا أمامها.

ولكن نزلت لكي لا أضخم الموضوع ويصل إلى البرنس جلال ويجبر فاروزة أن تحكي له ما رأت بيننا، ونزلت وجلست على منضدة الطعام وجاء البرنس جلال ومعه البرنس إحسان وألقى عليّ تحية الصباح، ورددت عليهما التحية وبعدها تكلمنا في أمور المزرعة وكم وصلنا إلى حد البناء فيها

ونزلت نوران ونحن نتكلم وذهبت وقبلت أباها وجلست معنا وحاولت أن أنظر إليها لكي أعلم ما دار بينها وبين فاروزة وماذا قالت لها وكانت نوران ترمي لي ببعض النظرات لكي يهدأ قلبي من الخوف وبعدها ذهبت إلى المزرعة لكي أكمل العمل فيها، وفي هذا اليوم ذهبت إلى بناء البيوت والدنيا كلها تتلون من حولي وكنت أعمل بكل ما فيّ من طاقة وسعادة مع الفلاحين وصرت أغني بصوت دافيء والجميع يرد عليّ وهم سعداء بي، وغنيت في هذا اليوم قصيدة لفؤاد حداد كنت معجبًا بها وتمشي مع حالتي في البناء وكان اسمها

"أنا المغني"

وكان الكل سعداء وهم يسمعون هذه الأغنية ويرددونها معي

ليه كل ما تقول آه

الناس تقول الله ..... أنا المغني

ضلوعي زي الشجر ..... بتفرش الظلة

وتبني سقف البيت ..... لما الحيطان تعلا

وروح يا ليل بالسلامة ..... وهات يا ليل ابتسامة

من الجميل الغايب ..... هو الحبيب في الحبايب

هو اللي يعرف يا ليل ..... ليه كل ما تقول آه

الناس تقول الله ..... أعمل ضلوعي شجر

علشان ترد اللي غاب ..... وترد قلبه شباب

أعملها سقف وباب ..... وأعملها مركب

وأفضل ألف البحار ..... وأغني فجر ومغرب

وأغني ليل ونهار ..... لحد اما تستعجب

ليه كل ما تقول آه ..... الناس تقول الله

كان فيه شجر موعود ..... يصبح كمنجة وعود

تسمع في حسّه الورود ..... ضي النسيم على الغصن بيتمرجح

وبلاغي ظل الشجر ..... وسقف بيت في القمر

وجيران تظل وتفرح ..... وباب يفتح

لكل غايب يعود .....

ليه كل ما تقول آه ..... الناس تقول الله..

"حقًا إنك فنان رائع بصوت ولحن وكلمات وبناء ماذا ينقصك إذًا لكي تشعر بالحياة؟

فأنت يابني رائع حقًا رائع في كل شيء، تغزل الكلمات مع الألحان كما ترسم خيوط التصميم للبيوت الجميلة التي تصنعه هنا للفلاحين

بني أنت رائع وصوت مميز وشخص فريد من نوعك كما هو اسمك ممتلئ بالحس الفني في كل شيء، كل هذا وكنت تريد أن تظل صديقًا للموت هذا؟

أنت من تبدع في سطور الحياة بقلمك وصوتك وإحساسك الفني

آه يا بني فالموت بغيض لا يصادق فنانًا مثلك في كل شيء فهو بالأحرى يصادق الموتى الذين يعيشون في هذه الدنيا بدون هدف أو طريق يسعون إليه أو بعبرة منه إلى حياة أفضل أو شيء جليل يساعده به الناس

ولكن أنت تساعد الغير وتكمل معهم الحياة الجميلة التي تصنعها لهم بإرادتك وإحساسك الراقي ومشاعرك.

النبيلة الفياضة على كل من حولك وصوتك الجميل هذا الذي يسعد القلوب بألحانه وغنائه هل يقدر على أن يكون صديقه الوحيد الموت؟

كيف يبعث الحياة في الناس ويبعث الموت لنفسه؟

لا..

الموت هنا لم يجد له مكانًا بعد اليوم.

فأنا بعد أن سمعتك اليوم فلا أخاف عليك إذا جاء إليك صديقك الموت الآن لأنك صرت على الطريق الصحيح، وعلمت أن الحياة هدف حتى لو فقدنا من نحب فبالإرادة نكمل الحياة ونكون على موعد معها

ونبدل الحزن في كل الأوقات بالسعادة ونرى الألون تتغير كل يوم من الأسود إلى الأخضر وهو لون الحياة، وأقسم لك يا بني أنك وصلت الآن إلى هدفك وتخلصت نهائيًا من صديقك الموت هذا وصرت على موعد مع الحياة"

هذا ما سمعته من السيد" جلال زادة" عندما كان يقف مستمعًا لي وأنا أغني بين الفلاحين، وهم يصفقون ويقفون معي في سعادة ومرح

وكأنني لم أجد حزنًا في حياتي

وكأنني لم أمر بأي ظرف طارئ

وكأنني ولدت من أجل الحياة والسعادة والفرح

كنت بين الفلاحين كطفل ولد من جديد، ولم أشعر بأي شيء غير السعادة

فجاء إليّ، وصفق بحرارة شديدة وقال لي هذا من كل قلبه

أجل يا عماه الآن تعلمت الدرس جيدًا وأن الحزن رسالة من القدر ومن الممكن تغيرها ونكون في انتظار رسالة أخرى تكون لنا طوق النجاة مثل ما حدث لي وجئت إلى هنا برسالة من رسائل القدر لكي أعبر من دروب الموت إلى الحياة، وأكمل حياتي بما ينفع الناس وأصلح الخراب الذي تسبب فيه من كنت أعتقد أنه صديقي.

الفصل الحادي عشر
"طيف من الموت"

وغربت الشمس في هذا اليوم ولما أتجه إلى نوران، ولكن ذهبت إلى القصر أنا والسيد جلال ، وكلي شوق وحنين جارف إلى أحضان نوران

ودخلنا القصر وكانت نوران في غرفتها، وسمعت فاروزة وهي تقترب من البرنس جلال وتخبره بأن نوران مريضة وارتدت عليها الحمى ثانية.

ودون أن أدرى ولا أرى شيئًا أمامي أسرعت إلى غرفة نوران ووصلت قبل البرنس جلال، وصرت أضم نوران إلى صدري والحمى تشعل جسدى وروحى قبل جسدها .

ووصل البرنس جلال وأنا أبكي على نوران فدخل وهو يعلم كيف أحبها وأخاف من صديقي القديم وهو يحوم حولها.

واقترب منها البرنس جلال وذهب إلى معمله لكي يعد لها بعض الدواء للحمى وأنا بجوارها، والدموع تنهمر عليها ودخلت علينا فاروزة ومعها ماء بارد وطلبت مني النهوض من جانبها لكي تضع الماء البارد على رأسها ولكن أخذت طبق الماء من فاروزة وصرت أضع لها بعض الكمادات

على رأسها إلى أن جاء البرنس جلال بالدواء وقلبي يحدثني بوجود صديقي الموت هنا، وصرت أحدثه لكي أبعده عنها، وفاروزة تنظر إليّ وترى مدى حبي وعشقي لنوران ودموعي التي لم تتوقف عليها منذ أن دخلت عليها الغرفة فعلمت كم أحبها.

ولكن هي لها موقف آخر مني لا أفهمه إلى الآن ومر الوقت وأسرعت إلى البرنس جلال لكي أستعجل الدواء لنوران لأن قلبي لم يتحمل ذلك

وبالفعل ذهبت مع البرنس جلال بعدما صنع الدواء لها وأخذت فاروزة الدواء ورفعت نوران على صدرها وأعطيتها الدواء وظلت فاروزة وأنا معها حتى الصباح نضع الماء البارد على رأس نوران ونعطيها من الدواء الذي صنعه البرنس جلال لها.

وعند الفجر بدأت نوران تستفيق من الحمى وتنظر إليّ وأنا دموعي لم تتوقف عليها منذ الأمس وهي تشعر بي ولكن الحمى كانت أشد عليها من أن تحاول أن تطمئنني عليها.

وبعدها نظرت إليّ وابتسمت لكي تطمئن قلبي وروحي عليها وشعرت وكأن الحياة عادت إليّ مرة أخرى.

وفارقني صديقي الموت الذي صرت أبغضه منذ أن عرفت نوران وأحببتها ولكن لا أعلم سر ارتباط صديقي القديم بهذا المكان حتى بعد ما اقتربت على التخلص من كل آثار الموت والاحتراق في المزرعة من بواقي أشجار محترقة وبيوت محرقة فلم يعد له مكان هنا فما سر وجوده وارتباطه بعدها بالمكان؟

ولكن إشارات القدر دائمًا توجهني بأنها موجودة في هذا المكان كنت خائفًا من أن يكون وجوده مرتبطًا بنوران ومرضها ولكن أفاقت نوران ونهضت من على الفراش، ولكن في هذا اليوم وعند حلول الظلام

رأيت نوران وهي تخرج من القصر في الليل متجهة إلى آخر المزرعة ولا أعلم لمَ وفي هذا الوقت من الليل فكان شيئًا غريبًا عليّ فتتبعت أثرها إلى آخر المزرعة ولكن هناك رأيت مقابر كثيرة ونوارن تجلس وتحدث الموتى وصديقي يجلس معها وأشعر بحديث متبادل بينهما ولكن خفت على نوران منه فأسرعت إليها ولكن شعرت وكأن نوران إنسانه لا أعرفها غير حبيبتي، ولكن أخذتها بقوة لكي ترجع معي إلى القصر ودخلنا إليه وأخذتها إلى الطابق العلوي ودخلت غرفتها.

وبقيت طول الليل أجلس أمام الغرفة لكي لا تنزل وتذهب ويستفرد بها صديقي الموت هناك ومر الليل وأشرقت الشمس ونزلت نوران وكأن شيئًا لم يحدث، وجلست كعادتها معنا على منضدة الإفطار وهي تبتسم وتضحك للحياة، وأنا أريد أن أعلم لمَ هي كانت هناك وما كل هذه المقابر وماذا تفعل نوران في ذلك الوقت مع صديقي الموت هناك!

وصارت الأسئلة كثيرة وليس لها إجابة عندي وخوفي على نوران يمنعني من أن أسأل عن هذا:

"سيد إحسان... عند الليل رأيت نوران وهي هناك عند المقابر تحدث الموتى ولم أعلم ماذا تفعل هناك!

ولمَ كل هذه المقابر؟ ولكن بعد فترة شعرت بإحسان يجمع قواه لكي يرد علي عندما ذهبت إلى العمل في بيوت المزرعة وكان هو معي ونحن نسير في الطريق بعد الإفطار وفكرت أن أسأله هذه الأسئلة، وبالرغم من كوني مترددًا فسألته متعجبًا

فقال لي:

سيد فريد كل هذه المقابر مقابر الفلاحين وأنت تعلم ماذا حدث لهم في موسم الحصاد، وخروج نوران في الليل كان يحدث منذ زمن بعيد بعد وفاة أمها ودفنها هناك في هذه المقابر.

كانت نوران متعلقة بها وكانت تذهب كل يوم إليها لكي تتحدث معها، وعندما تكون مريضة تذهب إليها لكي تخفف عنها ألمها وهذا الشيء ليس بغريب من ابنة لأمها.

وبعد أن صمت البرنس إحسان شعرت بأن كل ما كنت أفكر فيه كان وهمًا وأنه أمر طبيعي أن تتواجد نوران عند مقبرة أمها بعد مرضها أمر طبيعي.

ومرت الأيام على هذا الحدث ولكن روحي تشعر دائمًا بأن الموت يحوم حول هذا المكان لا أعلم لمَ! واقتربت من نهاية البناء وكنت سعيدًا جدًا بهذا لكي ترتاح أرواح الفلاحين كما كان يقول السيد "جلال زادة"

وفهمت لم كان يقول هذا الكلام بعد أن رأيت كمية المقابر الكثيرة هناك للفلاحين ، علمت كم من الأعداد توفيت في موسم الحصاد وفي هذا المكان.

الفصل الثاني عشر
"طلب الزواج"

قالت فاروزة وهي تنظر إليّ لا أعلم أن كانت هذه النظرة شفقة أم كره اختلط عليّ الأمر لفهم هذه النظرات وسمعتها وأنا لا أقدر على تفسير ما تقول لي كل كلامها عبارة عن ألغاز:

"سيد فريد نوران هي الحلم الغائب الذي تراه ولا تتملكه نوران الصورة الجميلة والروح الطاهرة التي تسكن بداخل قلبك وروحك وليس لسكن الجسد فأنا التي ربيت نوران من عدة سنوات كثيرة، وأعلم كم هي بريئة وتتمنى السعادة للجميع حتى ولو كان بروحها فقط، فقربك منها سيدمرك ويدمر روحها الهائمة بعد كل هذه السنوات.

نوران ليست إلا روح تحوم في ملكوت الله وأنت تريد الروح والجسد وهي لا تملك الجسد لأنها ملك لغيرك، افهم كل ما أقوله لك، وابتعد عنها قبل فوات الأوان.

أفزعتني "فاروزة" بهذه الكلمات وأشعلت الحيرة بداخلي في هذا اليوم، عندما كنت ذاهبًا إلى نوران وقررت أن أصارحها بحبي الشديد لها وطلب الزواج منها ولكن وأنا أدخل القصر أرى الخادم العم موريس يقف في البهو وينظر إليّ بكل حدة.

ولكن لا أعلم لم يكرهني هو وفاروزة إلى هذه الدرجة وأنا لم أفعل لهما شيئًا أبدًا ، ولم أفهم إشارات العم موريس لفاروزة وهو ينظر إليّ لا أعلم ماذا يقول لها.

فأفزعتني عندما ذهبت إليها سائلًا عما يدور بينهما ولم كل هذا الكره الذي يحملانه لي بداخلهما..!

وتركتنى فاروزة وأنا أتأمل كلامها ولا أفهم منه شيئًا كل ما يسيطر على عقلي حبي وعشقي لنوران وكنت واثقًا أن كلام فاروزة كله ما إلا أن نوران من أسرة ملكية، وأنا من عائلة بسيطة ولا أصلح من وجهة نظر فاروزة أن أمتلك الجسد المقدس بالزواج من ابنة الملوك "الأميرة نوران" ابنة العائلة الملكية صاحب البيت والحسب الرفيع، هذا ما فهمته من كلام فاروزة لي.

ولكن ذهبت في هذا اليوم إلى شجرة الساسابان التي تملكتني أنا ونوران تحت ظلالها وكانت أجمل ليلة وأنا هناك بين أحضان نوران أهيم بها وتهيم بي.

وصرت أتذكر كل ما حدث بيني وبين نوران وبعد فترة من الوقت غفوت لا أعلم كيف ولكن رأيت سارة تطوف بين ظلال الساسابان وتطلب مني النجاة لا أعلم ما هي النجاة من جهة نظر سارة.

وإلى أين ولمَ في ذلك الوقت وصارت سارة تطوف وتشد بروحي معها للخروج من هذا المكان، ولكن رأيت صديقي الموت يأخذ سارة معه ويمنعها من أن تنقذني وتخرجني معها كم كانت تريد.

وعندما أفقت من هذا الحلم رأيت نوران وهي تتلمس جسدي وتبتسم لي وكأنها ملاك يلمس روحي قبل جسدي، ولكن الغريب عندما رفعت يدي هذه المرة ووضعتها على قلب نوران كما كنت أفعل لكي أسمع دقات حبها لي.

شعرت وأن يديّ تتجمد ولم أسمع صوت دقات قلبية ولم أقدر على تحريك يدي من عليها.

وظل هذا الشعور لأقل من ثانية وبعدها سمعت قلب نوران يدق كعادته وحاولت أن أقبل نوران ولكن كانت شفتاها باردة مثل الثلج وعندما سألت نوران قالت:

نحن الآن على مشرف الشتاء وأن جسدي، يصبح هكذا طوال فصل الشتاء أكون فيه مثل أميرة الثلج.

ضحكت وقامت تطوف حول شجرة الساسابان كأنها طفلة تجري وتلهو وراء الفراشات التي تملأ المكان، وصرت أترقب نوران وقلبي يخفق لها ولكن وفجأة وقعت نوران على الأرض وجُرحَت من جذع الشجرة والغريب وعندما اقتربت منها لم أر دمًا مكان الجرح وعندما رأتني نوران أتأمل في الجرح، ذهبت مسرعة إلى القصر ولا أعلم لم!

وهل يجرح أحد دون نزيف يغطي الجرح وشعرت بأشياء غريبة

تحيط بهذا القصر وبنوران ومن بداخله ولكن كل التفسيرات كانت منطقية حتى الدم عندما ذهبت إلى القصر خلفها رأيت السيد جلال زادة وقال لي دون سؤال عما حدث بأن نوران تملك مرضًا نادرًا يتجلط الدم في جسدها عندما تصاب بجرح ولا تنزف كما يحدث للآخرين.

الفصل الثالث عشر
"يوم الحصاد"

وهذا كان التفسير العلمي للطبيب جلال زادة وكل مرة يحدث شيئًا في هذا المكان أجد عندهم تفسيرًا منطقيًا له الأموات والدماء وإشارات القدر كل هذا يوجد له تفسير عندهم.

وبعد فترة من الوقت عندما اقتربنا من موسم الحصاد طلب مني البرنس إحسان أن لا أذهب إلى بيوت الفلاحين إلا بعد ما يمر علينا موعد موسم الحصاد ولا أعلم لماذا كان يقول البرنس إحسان هذا الكلام

ولكن في يوم الحصاد لم أر أحدًا في القصر حتى فاروزة والعم موريس وهما لا يخرجان من القصر أبدًا.

وصمت كل شيء حولي ولا أرى أحدًا على الإطلاق ولكن شعرت بصديقي القديم يحوم حول أبواب القصر

وأسمع ولأول مرة أصواتًا غريبة تملأ المكان وفي هذا اليوم لم أستمع إلى البرنس إحسان وخرجت إلى المزرعة ولكن سمعت صرخات الفلاحين تملأ المكان وسهد النار كأننا في فصل الصيف، وحرارة الجو تحرق الأرض بلهيبها ومن لهيب وحرارة الجو لم أقدر على التجوال في المكان ورجعت

إلى القصر وأنا أسمع صرخات تملأ الدنيا من حولي وبعدها دخلت القصر أبحث عن نوران والبرنس جلال والبرنس إحسان وعلى كل سكان القصر وبعد فترة وجدت الكل في غرفهم نيام وكأنهم أموات لا يشعرون بشيء لا يرد عليّ أحد ولا أسمع أنفاسهم وحاولت أن أفيق الجميع ولكن دون جدوى والصرخات لا تتوقف.

ومر الليل وأنا على هذا الحال الكل نيام وصرخات تملأ المكان والرعب يملأ قلبي ولا أعلم ماذا أفعل لهم وما هي هذه الحالة التي هم عليها أنهم يشبهون الأموات في هذه الحالة وصديقي الموت يجلس هناك على أبواب القصر يترقبني، وأنا من الرعب خائف من مغادرة القصر والخروج إلى المزرعة ولكن مر الليل والرعب يقتلني.

وعند الصباح

وأنا أجلس على السلم وأرى البرنس "جلال زادة" ينزل من فوق وأنا أطرافي تتجمد من الخوف وكدت أن أفقد الحركة، وهو وكأن لم يحدث شيئًا أمس وكانت قد هدأت أصوات الفلاحين وأشرقت الشمس وضحكات نوران تملأ أرجاء القصر وأقترب مني البرنس جلال وأخذ بيدي من على السلم وذهب بي إلى منضدة الإفطار وهو يبتسم ويتحدث معي كعادته وعندما وصلت إلى المنضدة نظرت إلى أبواب القصر والعم موريس يدخل

منها ومعه الجرائد كعادته ولم أر صديقى الموت يجلس أمام الباب كليلة أمس ولكن هذه المرة لم أتمالك نفسي وأردت أن أعلم ماذا يدور حولي في هذا القصر الغريب فسألت البرنس جلال عما حدث أمس ولكن رد عليّ البرنس جلال زادة بإبتسامة رقيقه وهادئة:

" بني، أنت عارف اللي حصل هنا في موسم الحصاد، وصديقك اللي اجتاح المكان وهدمه وحرقه ودمر كل شيء في يوم زي دلوقتي، وزي دلوقتي تسمع أرواح الفلاحين تئن وتصرخ في كل مكان من شدة لهيب النار، واحنا مش قادرين على سماع أصواتهم، فبنحاول ناخد أي حاجة تنيمنا علشان اليوم يعدي، من غير ألم من صوتهم ونفتكر الماضي بكل ما فيه من أوجاع، وعلشان كده قال لك إبني إحسان بإنك ماتسبش القصر ولا تخرج منه في الليلة دي، ألم وأرواح تتألم من الحريق فى كل ميعاد له واحنا يا إبني مش بنخبي عليك حاجة أبدًا.

وهدأت نفسي وعلمت ما يحدث حولي ف هذا القصر وعلمت أيضًا أنهم لا يخبئون عني أى شيء.

وبعدها طلبت من البرنس جلال أن نذهب لنكمل العمل في بيوت الفلاحين لكي تهدأ أرواحهم.

ولا تستمر كل عام في الصراخ فوافق البرنس جلال وذهبنا إلى المزرعة لنكمل العمل فيها وبعدها بفترة أخذت نوران وذهبنا إلى أطراف المزرعة لكي ترى حديقة الزهور التي تلاشى فيها أثر الحريق ورجعت أفضل مما كانت في السابق وفرحت نوران بألوان الزهور الجميلة.

ولكن وقعت عيني على زهور الياسمين وتذكرت سارة وصبا وقلبي تألم معها عليهما ونظرت إليّ نوران وهي تعلم أنني لم أتخلص كاملًا من تعلقي وحبي لسارة ونظرت إلى زهرة الياسمين.

كانت تدل على ذلك فشعرت أنها تألمت من ذلك الأمر ولكن كانت إنسانة رائعة تفهمت ألمي جيدًا ولم تتحدث في الأمر لكي لا يزداد الألم عليّ وقامت وسحبتني بعيدًا عن زهور الياسمين لكي تبعدني عن الألم وبعدها رجعت معها إلى القصر ولكن كنت أفكر هل قلبي ظل متعلقًا بسارة؟ أم يهوى نوران؟ أم متوجعًا على حياتي السابقة؟

هو من يجرف بي إلى هذا الشعور وعند الفجر شعرت باختناق في روحي فنزلت إلى المزرعة لكي أتجول فيها ولكن عندما اقتربت من المقابر رأيت سيدة عجوز تتعدى المائة عامًا تروي كل زهور الصبار التي تحيط بالمقابر وعندما اقتربت منها سألتها ماذا تفعل هنا فى هذا المكان في ذلك الموعد.

ولمَ تروي كل زهور الصبار هنا حول المقابر في هذا الوقت من الليل؟

قالت لي:

ماذا أتى بك هنا أنت الآخر فأنا جئت أروي أرواح الفلاحين الهائمة في هذا المكان وهذا عملي منذ سنوات كثيرة تعبت من عددها أما أنت لم تبنى كل هذه البيوت للفلاحين؟

لمَ... لكي تسكنها الأرواح؟

وعندما نظرت إليها لكي أرد عليها تركتني وذهبت ولم تلتفت إليّ وصرت أنادي عليها ولكن اختفت خلف المقابر وبعدها ظهرت خيوط الضوء في السماء ورجعت إلى القصر ولكن هذه المرة تذكرت سيارتي

التي بالخارج تركتها على أبواب المزرعة من عدة أشهر فحاولت الخروج من أبواب المزرعة لكي أراها ولكن لم أعثر على طريق الباب لكي أخرج منه فذهبت إلى القصر وعندما رأيت البرنس جلال يجلس

أمام المدفأة فسألته فقال لي:

بني... انت جيت هنا بإشارة من القدر علشان تتم عمل كتبه عليك وتتعلم شيء ينقذك من صديقك الموت.

ولما تخلص الشغل اللي انت جاي علشانه وتتعلم اللي انت جاي من أجله هتتفتح ليك أبواب المزرعة على مصراعيها.

وقلت له:

ولكن يا سيدي انا شوفت امرأة عجوز تروي زهور الصبار عند المقابر ولما سألتها قالت لي إنها بتروي أرواح الفلاحين اللي احترقت في موسم الحصاد، ومش عارف مين هي وكلمتني وبعدها اختفت.

فنظر لي وقال:

الست دي مش من عالمنا

دي كانت متزوجة العم موريس

تظهر وتختفي زي ما تحب

وهي طول الوقت بتظهر هناك...عند المقابر

فعلمت منه أنها زوجة العم موريس وقلت بين نفسي أنها روح من أرواح الفلاحين الذي احترقت في موسم الحصاد ولكن لم يرُق لي الأمر ولا التفسير فذهبت إلى العم موريس لكي أقول له: إني رأيت زوجتك هناك عند المقابر ولكن نظر لي والدموع تملأ عينيه وذهب وتركني دون أن أعلم أي شي منه فتأكدت من دموعه أنها زوجته وتوفيت في موسم الحصاد ولا يريد أن يتحدث في الأمر.

ولكن في اليوم التالي ذهبت في نفس الموعد إلي المقابر لكي أرى السيدة العجوز هناك لكي أعلم التفسير المنطقي لهذا إذا كانت زوجة العم موريس وتوفيت منذ سنوات عديدة في موسم الحصاد.

لم أر عليها علامات تقدم السن بهذا الشكل فإنها تبدو لي وكأنها أكبر من العم موريس بسنوات عدة!

فكان ذهابي إلى المقابر شيئًا ضروريًا لكي أكتشف ما هو الأمر وذهبت إلى هناك في نفس الموعد ورأيت السيدة العجوز تروي الصبار وتكلم الأموات ولكن هذه المرة لم أر صديقى الموت هناك عندها

فاقتربت منها وسألتها عن وجودها هنا

فقالت لي:

مثلما قالت المرة الماضية أروي أرواح الفلاحين المحترقة وسألتها..... أنتِ زوجة العم موريس؟

قالت لي:

أيون... كان زوجي من سنين .. أما دلوقتي هو مش من عالمي

وقلت لها:

أنا حابب إنك تيجي معايا للقصر الكبير

فهربت مني دون أن تنطق بشيء واحد لا أعلم لماذا فعلت ذلك ولماذا كل هذا الخوف الذي طرأ عليها مرة واحدة وذهبت ورائها ولكن دون جدوى اختفت مثل المرة الماضية وصار هذا الأمر يشغلني لا أعلم هل هي حلم أم حقيقة؟

وصرت أفكر في الأمر إلى اليوم التالي وذهبت إليها

وقلت لها: هو انتي حلم! ولا حقيقة؟

قالت لي: الحقيقة...

أنا الوحيدة هنا في المزرعة، أما الباقي فهم أرواح هائمة في ملكوت الله

واختفت بعدها ولم ترجع إلى هذا المكان ثانية وكل يوم أحضر وأبحث عنها في المقابر ولم أجدها وبحثت عنها في كل أرجاء المزرعة دون جدوى ولم أعثر على أي شيء، وبعد فترة نسيت الأمر ورجعت لأكمل البناء في المزرعة وعشت هذه الأيام مع نوران وكنت دائمًا أشعر وكأن الله قد منحني نوران عوضًا عن الألم الكثير الذي قابلته في حياتي ولكي أقبل علي الحياة وأن أعيش بياضها وأن أستمتع بالعوض عن ما قاسيته من الموت الذي سرق حياتي.

وشعرت أن ما أجمل الحياة التي تأتي بعد الموت وكنت دائمًا أتأمل نوران في كل الأوقات وأفكر كيف كانت تكون الحياة بدونها مع صديقي الموت هذا أتذكر اليوم الذي تحدثت فيه مع نوران لأول مرة وحدثت لي الغيبوبة عندما لاحظت الشبه بين نوران وسارة ولكن اليوم قلبي هدأ من ناحية سارة واشتعل بحب نوران فعلمت أن الله يبدل القلوب وأن الإنسان لا يعيش عمره كله بألم واحد وحب واحد.

وشكرت ربي من بعد صديقي الموت الذي كان يغتصب روحي كل ليلة وأنا بلا مقاومة أوافق على ذلك كنت أنتظره يزورني في اليوم أكثر من مرة وفي كل مرة يقترب فيها مني أترك جسدي له ولا أقاوم فيعبث بروحي ويلهو بها حتى يمل منها ويتركها إلى موعد جديد.

وكل مرة يخلصني دعاء أمي وأبي لي منه وكنت معتقدًا أني لا أحب أحدًا ثانية بقدر ما أحببت سارة ولكن علمت الآن أن الإنسان سريع النسيان يتجاوز الألم بعد فترة ويكمل حياته مع ألم جديد وأحداث جديدة

وأصبحت أفكر كثيرًا في ما هو قادم لي وأتذكر كم كنت أهتز من موت سارة وصبا وأذرف عليهما الكثير من الدموع.

ولكن الآن أفكر في قلب جديد وحب يملأ حياتي لأكمل الطريق وتأكدت أننا نحن نرحل عن هذه الحياة بمفردنا عندما نموت لا يرافقنا أحد ولا حتى من نحب بعد فترة نصير في طيات النسيان ونصبح ذكرى تدق كل فترة في عالم النسيان لكي تتذكر بها الأحبة بعد كل فترة طويلة وهذه هي الحياة يوم عليك ويوم لك.

وعلمت أنه لولا الأحلام ولو مستحيلة لجفت أرواحنا وصارت كالدخان من شدة الاحتراق ولا شيء يحرك الأحلام مثل الحب

وهذا هو حلمي بنوران وإنني متأكد أن أهلها يرفضون هذا الحب كما فعلت فاروزة عندما علمت به.

ولكن هذا الحب هو حلمي الآن الذي يتملكني وأسير وراءه لكي أحققه مهما كلفني من ثمن حتى ولو كان هذا الثمن روحي وأقسمت أن لا أترك روحي ولا جسدي لصديقي الموت يعبث بهما بعد الآن مهما حدث لي في حياتي .. لن أستسلم له.

وذهبت في هذه الليلة إلى غرفة نوران لكي أتحدث معها عن زواجنا ولكن دخلت الغرفة ولم تكن هناك ورأيت فيه مفتاحًا أمام المرآة ولكنه غريب الشكل وكأنه من عصر قديم جدًا ودون أن أشعر أخذت

المفتاح لكي أعلم ما وراءه وحاولت أن أجرب هذا المفتاح على كل غرف القصر ولكن دون جدوى، ولكن هذه المرة أخذتني قدمي إلى أسفل عند غرفة الخدم وحاولت أن أجرب المفتاح ولكن والغريب أني

سمعت همسًا يلفت أنظاري إلى سلم ينزل بي إلى القبو تحت القصر ونزلت إلى هناك وكانت توجد غرفة ولكن ينسج عليها خيوط العنكبوت كأنها لم تفتح منذ سنوات عديدة، واقتربت منها وأزحت آثار العنكبوت من عليها وحاولت فتحها بهذا المفتاح وهذه المرة فتح المفتاح، هذه الغرفة ودخلت إليها أبحث عن شيء لا أعرفه أو عن أي شيء أبحث هنا وصرت أبحث في كل شيء.

في هذه الغرفة وفجأة في درج من الأدراج القديمة رأيت بعض الصور ولكن يبدو عليها من زمن قديم جدًا ورأيت صورة للبرنس جلال زادة وهو يرتدي زيًّا ملكيًّا قديمًا جدًا ويحضر به وسط جموع من الناس

ورأيت أيضًا معه البرنس إحسان ويرتدي نفس الملابس ومعهما نوران تلبس تاج كالأميرات على رأسها وكلهم وكأنهم من عصر ملكي انتهى منذ زمن طويل.

ورأيت أيضًا في هذه الغرفة ملابس من عصر قديم لبعض الرجال والسيدات وبعض الأوسمة تخص البرنس جلال زادة وبعض الأدوات الطبية قديمة جدًا.

وبعض الأختام الملكية والأشياء التي تخص العائلة المالكة وبعدها جلست لفترة أفكر في الأمر ولا أعلم ما أفعل وكيف أسأل عن هذه الأشياء وكيف أقول للسيد جلال أنني أخذت المفتاح وبحثت عن أشياء لا تخصني ولكن الصدمة وما رأيت كانت أقوى من أن أفكر فى غضب البرنس جلال وأي شخص مني فخرجت من القبو وذهبت إلى البرنس جلال على الفور ورأيته يجلس وكأنه ينتظرني ويعلم ماذا أريد أن أقول له وماذا رأيت في القبو وكان معه بعض الصور مثل الصور التي رأيتها في القبو.

وأول ما دخلت عليه نظر لي وقال:

لماذا نزلت إلى القبو دون أذن مني؟

فقلت له:

سيدي إنني رأيت بعض الأشياء والصور الغريبة على عصر هذا وأريد منك تفسيرًا لي كل الذي رأيته تحت بداخل الغرفة في ذلك القبو

فنظر إليّ بغضب شديد وقال لي:

سيد فريد وكان هذا أول مرة يقول لى هذه الكلمة فشعرت بغلطتى فى هذه اللحظة ولكن أستمر السيد جلال في الكلام

- سيد فريد هذه الأشياء تخص العائلة الملكية وأنت تعلم جيدًا أنني من هذه العائلة ورغم عدم وجود الملكية، ولكن كل فترة من الزمن نتجمع كلنا في بيت أحد من أفراد العائلة ونلبس هذا اللبس الملكي ونحاول أن نحتفي ونرجع ما ضاع منا في الماضي وأظن هذا من حقنا ولا نريد أي شخص يعلم عن ذلك الأمر شيئًا أبدًا فأنت لم يكن من حقك أن تنزل إلى القبو وتبحث فى تاريخنا وفى أشياء تخص عائلتنا أبدًا.

فشعرت وكأني مثل كل مرة أخطأت في الأمر وحاولت الاعتذار من السيد جلال ولكن هذه المرة كان الأمر سيئًا ولا يريد السيد جلال مني أي اعتذار وتركني وخرج من الغرفة ومر على الأمر عدة أيام ولم يكلمنى فيها السيد جلال وشعرت بغلطتي ولكن لم أعلم كيف أن أقدم اعتذاري ويقبله مني البرنس جلال، بعد ما صدر مني في حق العائلة

فذهبت إلى نوران لأحكي لها الأمر لكي تحاول أن تتوسط لي عند البرنس جلال لكي يتقبل مني اعتذاري على ما بدر مني في حق العائلة

ولكن عندما حكيت الأمر لنوران وكأني رسمت على وجهها بركان من الغضب فصرخت في وجهي

وقالت لي:

عملت كده ليه يا فريد؟

تسرق المفتاح من أوضتي علشان تدور على إيه؟

على حاجات لا تعنيك في شي؟ دلوقتي انت عرفت كل حاجة

هتعمل إيه! هتكمل معانا ولا هتمشي لحال سبيلك

وتسيب الأرواح في ملكوتها

استغربت من كلام نوران لي وفجأة دخل علينا السيد جلال

وهو يقول لي:

عايز ايه دلوقتي يا فريد؟

من نوران إنها تتوسط بيننا علشان أسامحك على اللي عملته!

مافيش حاجة هناك كانت تخصك

حتى هدومنا القديمة وهي ملابس عيلتي

إيه اللي يعنيك هناك واحنا كنا بنلبس الملكي علشان نرجع الماضي بكل ما فيه من ذكريات جميلة لنا

إيه الغريب في ده!

فنظرت نوران إلى السيد جلال وفهمت أنني لا أعلم شيئًا سوى ما قاله السيد جلال الآن وأنها اختلط عليها الأمر فصمتت تسمع كلام السيد جلال قبل أن تنطق بشيء

الفصل الرابع عشر
"غموض"

وشعرت بغموض شديد من رد السيد جلال، مع نظراته لنوران وكأن هناك شيئًا ما لا يريدانني أن أعرفه

"فريد..... بابا عنده حق في كل حاجة قالها .. فكل الحاجة دي ملك العيلة بس، وكل اللي بنعمله هو مجرد رجوع للذكريات القديمة، علشان نعيش في زمن جميل كنا عايشين فيه ملوك على الأرض دي، وانت مش حاسس باللي احنا حاسين بيه

أبي.... سامح فريد، هو ماكنش يقصد حاجة، مجرد فضول علشان يعرف إيه اللي بيحصل هنا، وأنا بوعدك بده يا بابا، وتقبل منه الإعتذار هو مش قاصد ضرر لينا ولا للعائلة، استحلفك بأمي وبي يا أبي... سامحه"

بعد فترة كبيرة من الصمت هذا ما قالته نوران لي ولأبيها من بعض الشعور بالطمأنينة

وبعد فترة قبل السيد جلال الاعتذار مني وذهب وتركني مع نوران واقتربت من نوران وحاولت أن أصلح ما أفسدته وما فعلت في حقها من أخذ المفتاح دون علمها وأنا أعلم أنها غاضبة مني وكل ما كانت تقوله

هو إرضاء لأبيها لكي لا يغضب عليّ، أم هي الغضب مرسوم على وجهها مني!

فحاولت أن أقبل رأسها لكي تسامحني على ما فعلت دون قصد وصرت أقدم كل الاعتذار الممكن لأرى البسمة في عيون نوران بدلًا من حالة الغضب التي رسمت على وجهها وبعد عدة قبلات وكلمات من الحب ابتسمت نوران

وقالت لى :

فريد.. أنا بحبك جدًا، ولكن حاول تفهم الأمر وماتجرحش بابا ولا أخويا ببعض التصرفات الهوجاء اللي بتصدر منك كل مرة تجاه العائلة احنا من عيلة ملكية، ولينا بعض العادات والتقاليد القديمة اللي مش بنخلص منها لحد دلوقتي ولا بنقدر على ده أبدًا، فلو كنت تروق لك العادات دي، فعيش معانا وبينا وكإنك واحد مننا، ولو مش قادر على تحمل العادات والتقاليد دي، فحاول تغير من نفسك أو ابعد عن المزرعة من غير ما تجرح حد هنا، أنا باقول لك الكلام ده وقلبي بيتعصر من الوجع على حبك.

فاقتربت من نوران والدموع تملأ عيني والألم يملأ قلبي وضممتها بكل ما فيّ من حب لها وقلت لها:

حبيبتي بعدي عنك هو الموت، فتعتقدي بعد إني تخلصت من صديقي الموت، أرجع ليه تاني؟ لاااااا .. انتي الحياة اللي رجعتني بعد الموت وبعد فترة طويلة معاكم تعلمت هنا حاجات كتير، وهتعلم كل العادات والتقاليد علشان أكون جدير بك ، وأكون واحد منكم بعد زواجي منك يا حبيبتي، ولكن نظرت إلى نوران وكانت تتأملني وكأن كل ما أقوله لها سراب سينتهي بعد فترة من الزمان.

وصمتت ولم تعلق على أي كلمة من هذه الكلمات وقبلتني ونزلت إلى البهو لكي ترى إحسان، لكي لا يعلم شيئًا عما فعلته مع البرنس جلال لكي لا يكبر الأمر ونزلت وراءها ورأيت البرنس إحسان، يجلس أمام المدفئة وحينما رآني سألني عن بيوت الفلاحين ومتى ستنتهي.

فقلت له:

سيد إحسان.. بيوت الفلاحين هتخلص في القريب العاجل

فابتسم السيد إحسان وقال لي:

بالسرعة دي هتخلص منها؟ وهل يا فريد اتعلمت حاجة معانا هنا في المزرعة؟ وهل بعد ما تسبنا هترجع لصديقك الموت مرة ثانية ولا هتبعد عنه مهما حصل لك.

فقلت له:

أنا الموت مابقاش له عندي مكان، أنا دلوقتي مع ميعاد جديد مع الحياة، وأطلب منك ومن السيد جلال تساعدوني على الحياة، بالموافقة على زواجي من الأميرة نوران

قام من أمام الدفئة ونظر إليّ وقال لي:

سيد فريد، انت عارف مين هي نوران؟ وهل هتقدر تعيش مع روحها؟ولكن الموضوع ده نتكلم فيه بعدين، بعد بناء البيوت

فأنت هنا لحكمة لا يعلمها إلا الله، ولما تنتهي إن أراد الله، نتكلم عن زواجك من نوران.

وخرج السيد إحسان وعندما جئت أتكلم مع نوران عن الأمر قالت لي نفس الكلام عند انتهاء البناء. يفعل الله ما يريد بنا كلنا هنا أرواح مجندة في ملكوت الله.

وبعد هذا الطلب شعرت وكأن نوران تبتعد عني ومرت الأيام قاسية في صمت رهيب وفي يوم من هذه الأيام وأنا في أطرف المزرعة رأيت السيدة العجوز هناك فذهبت إليها وصرت أتحدث معها وأطلعها على حبي وطلب زواجي من الأميرة نوران فابتسمت وسألت وماذا كان هو الرد

قلت لها:

الصمت وتأجيل الأمر بعد بناء البيوت

فضحكت بصوت عال وقالت لي:

سيد فريد...انت هنا لحكمة وأمر، وبعدها ينتهي الأمر، وتركتني ولم أفهم منها شيئًا.

ولكن بعد فترة من الزمن شعرت وصديقي الموت يقترب جدًا من هذا المكان وبدأت أشعر باختفاء بعض الفلاحين كل يوم يقل العدد ولا أعلم لماذا ولا إلى أين يذهبون، وبعدها مرض السيد جلال، ولزم الفراش وكانت نوران دائمًا حزينة لمرض أبيها والسيد إحسان صامت لا يتكلم من خوفه على أبيه، والكل في هذا القصر صامتً مثل الأشباح لا تسمع منهم شيئًا ولا تفهم شيئًا.

ومرت علينا عدة أيام على ذلك الوضع وبعد فترة تحسنت حالة السيد جلال ونهض من على الفراش.

رجعت إلى البناء واقتربت على الانتهاء من بيوت المزرعة ورجعت البسمة إلى عيون نوران بعد وقت طويل ، وطلبت منها أن تذهب معي إلى شجرة الساسابان لكي نرجع الأيام الجميلة فوافقت نوران

وقالت لي:

ربما تكون هي الرحلة الأخيرة وتفترق أرواح كل منا إلى عالمه

وعندما سمعت ذلك أنقبضت روحى فيها

وسألت: نوران ليه بتقولي كده؟

قالت لي:

حبيبي أقصد ربما تكون الأخيرة قبل الزواج

فابتسمت والتقطت أنفاسي من شدة الخوف وحضنت نوران وأصبحت أطير بها من على الأرض.

وذهبنا إلى شجرة الحب التي ترى حبنا وعشقًنا أنا ونوران تحت ظلها

ومر علينا وقت طويل هناك ورجعنا القصر ورأتنا فاروزة وصارت ترشقنا بنظرات لا أعرف معنى لها هل هي شفقة علينا؟ أم هي نظرات خوف من شيء ما؟ أم هي تعرف ما هو قادم إلينا وأنا لا أعرفه؟

ولكن حبي وحب نوران لي أعماني عن أي شيء وكان أقوى من نظرات فاروزة لنا.

ومرت الأيام والليالي وأنا أعمل بكل جد في بناء البيوت لكي أنتهي منهم وأتمم زواجي بنوران.

ولكن وفي يوم من الأيام وأنا أدخل القصر أرى بعض الحقائب تملأ بهو القصر وأرى الجميع يسلم على البرنس إحسان وسألت عن الأمر

فقال لي البرنس إحسان:

سيد فريد.. أنا استمتعت بالكلام معاك في كل الأيام اللي أقمت معانا فيها، وكنت لي بمثابة أخ عزيز، ولكن اليوم انتهت أجازتي وهارجع عملي وأسيب لك أبي وأختي نوران أمانة عندك.

واقترب مني وسلم عليّ بكل رفق وأخوة كما كان يقول الآن

وضم نوران والبرنس جلال وذهب، وذهب معه العم موريس لكي يوصله إلى محطة القطار بكل هذه الحقائب وبعد أن غادر السيد إحسان القصر انطفأت البسمة فيه وظل السيد جلال طوال الوقت يجلس أمام المدفئة ونوران تعزف بعض المقطوعات الحزينة جدًا وامتلأ القصر بالكآبة والسكون.

وكان يمر الوقت علينا بكل صعوبة فكان السيد إحسان من يرسم البسمة على حوائط القصر ببعض كلماته الضاحكة وتعبيراته الجميلة التي تسر القلب.

ومر الوقت وصار البناء صعبًا على بدون السيد إحسان وبعد أن اقتربت من الانتهاء طالت المدة لصعوبة الأمر عليّ.

كنت دائمًا أشعر بأن شيئًا ما سيحدث هنا سيغير كل شيء ولكن تأكدت من هذا عندما رأيت صديقي الموت يحوم حولي من جديد ويسكن طوال الوقت أمام أبواب القصر ولكن هذه المرة ليس موسم الحصاد لا أعلم لماذا جاء وبمن سيرحل هذه المرة كنت أتوقع بأنه السيد جلال لأنه كان دائمًا يجلس أمام المدفئة ولا يقدر على الحركة كثيرًا

وبعد مغادرة السيد إحسان القصر، وفي يوم طرق الباب شخص غريب وذهب العم موريس يفتح الباب ولكن أحضر معه تلغراف إلى السيد جلال وكنا نجلس معه فى البهو وفجأة عندما قرأ التلغراف

وقع على الأرض فأسرعت إليه وحملته من على الأرض إلى الأريكة وأسرعت لأحضر أي شيء لكي يفيق به

وتركت معه نوران ولكن بعد ثوانٍ سمعت نوارن وهي تصرخ بشدة

فأسرعت إليها وظننت أن السيد جلال ذهب مع صديقي الموت ولكن عندما وصلت إليها رأيت السيد جلال يبكي كالأطفال ونوران تقع على الأرض وتصرخ بما فيها من عزم.

أسرعت إليها وضممتها وسألتها عن الأمر فرمت لي التلغراف فنظرت فيه علمت بأن من ذهب مع صديقي الموت هو البرنس إحسان وليس البرنس جلال وكان هذا الأمر صدمة لي وأصعب عليّ بعد أن عرفته واتخذته أخًا لي وصديقًا حميمًا.

وفي هذا اليوم لمست لعنة صديقي الموت ولعنة صداقته لي

وبعدها قام السيد جلال واتكأ على عصاه وقام لكي يذهب إلى ابنه ليحضره هنا لدفنه في مقابر العائلة لكي يكون بجواره وعرضت عليه الذهاب معه ولكن قال لي:

إبني، خليك هنا وجهز كل شيء للدفن، وخليك مع نوران فهي محتاجة ليك هتا، وأنا مش قادر أسيبها هنا لوحدها وأعتمد على فاروزة وموريس، فهم فيهم من الشيخوخة مش قادرين يعملوا حاجة

وأنا هاروح مع بعض أفراد العيلة هايستنوني هناك عند جثمان إبني

وذهب بعدها السيد جلال ولكن غاب أكثر من ثلاثة أيام ورجع وهو محطم تمامًا ولا يقدر على الحركة وبدون جثمان السيد إحسان وحاولنا أن نسأل عن السبب ولكن ظل فترة لا يقدر على الكلام وبعد أيام من حضوره.

قال لنا:

أن السيد إحسان توفى تحت القطار حادث مؤلم ولم يقدر على جمع أشلاءه فدفنه هناك في مقابر لبعض الأصدقاء المقربين للعائلة وسمعت نوران هذا الأمر عن أخيها ففقدت النطق تمامًا.

والسيد جلال فقد الحركة وصار يتحرك على كرسي متحرك بعد هذا الحادث وانقلب كل شيء فى القصر.

وحاولت أن أخفف عنها هذا الحادث المؤلم ولكن لم أقدر على فعل أي شيء وجلست الأيام والليالي مع نوران لكي تقدر على الكلام بعد أن صمت كل شيء حولها بموت أخيها وتوقف كل شيء حتى البناء والحياة

في المزرعة وكانت أصعب أيام عليّ هناك وأنا أرى الرجل الذي اعتبرته في مكانة أبي يجلس على كرسي متحرك بعد أن كان يملأ الدنيا حيوية ونشاطًا وحبيبتي التي هي قطعة من روحي تفقد صوتها ولا أسمعه ثانية، وكان هو لي رنين الحياة وأرى صديقي القديم يقيم على أبواب القصر وكأنه يتوعدني بشيء جديد.

وعندما خرجت إليه لكي أتحدث معه رأيت السيدة العجوز تقف أمام الباب وتروي الزهور التي أمامه فاستغربت الأمر وسألتها لماذا أنتِ هنا يا سيدتي.

فقالت لى:

أروي أرواح اللي هنا علشان ترحل بسلام من غير خوف

فنظرت إليها بخوف شديد وسألتها عما تتحدني أيتها العجوز

قالت لي:

يا ابني المهم قربت تخلص! ساعتها هتعرف كل حاجة بعدها

انت جيت هنا للأمر، ولله الأمر

وظلت تردد هذه الكلمات وتبتعد عن القصر وأنادي عليها ولم ترد عليّ وكأنها لم تسمع شيئًا وظلت هذه العبارات ترن في أذني "جئت لأمر ولله الأمر" ولا أعلم ما هو الأمر الذي جئت هنا له وإلى متى ينتهي هذا الأمر ولكن دخلت بعدها القصر واقتربت من السيد جلال وسألته عنها ولكن لم يرد عليّ وبعدها قال لي:

ابني، روح كمل بناء البيوت علشان عند موسم الحصاد هتتجرق مرة تانية وأنا مش عايز ده روح وكمل شغل فيها علشان تهدا أرواح الفلاحين هناك وبالفعل ذهبت إلى المزرعة لكي أكمل الأمر وكلمات العجوز ترن فى أذني وأرى أعداد الفلاحين، في تناقص شديد ولا أعلم من أسأل عن ما بحدث، البرنس جلال في حالة سيئة ونوران لا تتكلم والعجوز

تتكلم بالألغاز ماذا أفعل ومن أسأل عما يحدث هنا في المزرعة ولكن صرت أكمل تشييد البناء بكل ما فيّ من عزيمة وقوة لكي أنتهي من الأمر وأتزوج من نوران وأخذها معي وأتخلص مما أنا فيه من شكوك ووساوس وأشياء غريبة لا تفسير لها هنا وقصر مليء بأشياء غريبة خارج المنطق

واقتربت على الانتهاء وذهبت لكي أبشر نوران ولكن حزنها الشديد على أخيها كان أشد من حبها لي وذهبت إليها أقبلها وأضمها إليّ وأحكي لها أنني اقتربت على الانتهاء من عملية البناء ولكن هذه المرة

نظرت لي

وقالت بصوت منخفض وكنت أول مرة أسمع صوتها منذ فترة بعيدة وهي تتكلم:

فريد.. فاتت أيام وليالي وانت مش حاسس قربت تخلص شغل ولكن تعلمت إيه في الوقت ده! هل ممكن ترجع بعد كل ده لصديقك الموت؟ صديقك اللي بيدمر وبيقضي على كل شيء حوالينا، أوعدني يا حبيبي، إنك تبعد عن صديق الخراب ده مهما حصل، فنظرت إلى نوران وقلت لها:

بوعدك يا حبيبتي، إني مش هاعرفه صديق الموت مهما حصل لي ولكن ليه بتقولي كده؟

أما جيت أقولك إن البناء قرب يخلص، وهنتجوز أنا وانتي في أقرب وقت قالت لي:

انزل لبابا كلمه في الموضوع ده، ونزلت إلى السيد جلال بعد أن قبلت نوران وأنا سعيد جدًا بكلامها وجلست أمام السيد جلال وكلمته في الأمر وقال لي:

ابني الأمر ده بإيد ربنا لوحده، كلنا هنا أرواح مجندة في ملكوت الله

ولكن كمل البناء علشان تهدا أرواح الفلاحين الهائمة وسط بقايا الحريق، وبعدها تفتح لك أبواب المزرعة على مصراعيها

وتروح تبلغ أهلك بالأمر .. وترجع هنا معاهم

ودي الأصول لما تيجي تطلب إيد الأميرة نوران

ففرحت بكلمات السيد جلال ولولا أن الليل أسدل ستائره لكنت ذهبت للعمل في البيوت لكي أنهي المدة في أسرع، وقت وأحضر أهلي للزواج من الأميرة نوران في أقرب وقت ممكن ولكن ذهبت إلى نوران أخبرها بكلام أبيها ولكن هذه المرة اقتربت مني وضمتني إليها

وقال لي:

أريد أن تقضي الليلة معي هنا بين أحضاني في فراشي حتى الصباح

وبالفعل قضيت الليلة في فراش نوران إلى الصباح وكانت غريبة في هذه الليلة كانت تتأملني وكأنها لن تراني ثانية أبدًا وتتلمس جسدي بدون أي شهوة مني أو منها وكان جسدها باردًا كالأموات والأغرب

من ذلك لم أسمع أي نبض في جسدها وظلت طوال الليل تتأملني فقط دون أي شيء وحاولت أن أقيم معها حالة من العشق الذي كان بيننا رفضت بشدة وقالت لي:

- استنى لما نتجوز

الفصل الخامس عشر
"موعد مع الحياة"

كانت تتلمس جسدي بأصابعها الباردة وشفتيها اللتان يجتاحها الجليد ومرت الليلة على هذا الحال وكانت كتلًا من الجليد تملأ المكان حولنا والأغرب من ذلك رائحة الياسمين تعطر الجو حولنا وأرى صديقي القديم يقف أمام النافذة ينظر إلينا وكأنه يقول لي: هذا الموعد الأخير وبعدها أشرقت علينا الشمس ونزلنا إلى السيد جلال ولكن كان يجلس أمام صورة ابنه السيد إحسان وألقيت عليه التحية ولكن لم يسمع شيئًا مني فذهبت إلى البيوت لكي أكمل العمل وعذرت السيد جلال على ما هو فيه من حزن وآلام لفراق ابنه الوحيد في هذا الحادث المؤلم ولكن هذه المرة لم أرَ أحدًا هناك من الفلاحين.

ورأيت هذه المرة السيدة العجوز وصارت تساعدني في استكمال عملية البناء دون أن تنطق بكلمة واحدة، وبالفعل مر اليوم ورجعت إلى القصر وكان السيد جلال غير موجود هناك سألت عنه نوران ولكن لا تعلم إلى أين ذهب هو والخادم موريس ولكن تركتني نوران وذهبت إلى غرفتها وجلست بمفردي في بهو القصر.

ولكن هذه المرة كنت أريد السيد جلال لكي آخذ منه بعض الرسومات لكي أنهي العمل غدًا في المزرعة، ولم يكن موجودًا فذهبت إلى غرفة المكتب لكي أبحث عن هذه الأوراق لكي أكمل العمل في الصباح وأنا أبحث عن الأوراق المطلوبة رأيت بعض الصور صور للسيد جلال وهو وسط احتفال كبير، ولكن يجلس على هذا الكرسي المتحرك

فصدمت كعادتي ولم أعلم متى التقطت له هذه الصورة والحادث كان منذ فترة قريبة ولم يخرج منذ الحادث أبدًا من القصر ومتى كان هذا الاحتفال ورأيت نوران معه فى هذه الصورة.

ولكن هذه المرة خفت أن أفقد نوران لو سألت عن الأمر ولو علم السيد جلال أنني أبحث في أدراج مكتبه دون إذن منه ولكن الصورة أذهلتني ولا أعلم كيف أتصرف أو أسأل عنها نوران أو السيد جلال ولكن خرجت مسرعًا من غرفة المكتب وجلست أنتظر أي أحد يجئ إليّ ولكن مر الليل ولم أسمع صوت أحد في القصر حتى فاروزة لم تحضر العشاء كعادتها ونوران طلبت مني أن تذهب للنوم ولم تجلس معي فرأيتها متعبة فتركتها تذهب إلى غرفتها وكل تفكيري في إنهاء العمل في المزرعة لكي أتمم الزواج وبعدها ذهبت إلى الغرفة ولكن قبل أن أدخل فتحت الباب على نوران ورأيتها في فراشها.

فخفت أن أزعجها فذهبت إلى غرفتي ولكن قبل أن أذهب رأيت صديقي الموت في آخر الطرقه بين غرفتي وغرفة نوران والسيد جلال فظننت أن الوقت حان لرحيل السيد جلال مع صديقي الموت وانقبض قلبي ودخلت غرفتي ونمت من كثرة التعب والتفكير ولا أعلم كيف نمت وأنا بملابسي وعند الصباح لم أسمع أي صوت فعرفت أنه لم يحدث شئ وبدلت ملابسي وخرجت من الغرفة أبحث عن نوران.

فوجدتها نائمة ولا أعلم لماذا كل هذا النوم فدخلت عليها لكي أوقظها من النوم ولكن نظرت إليها وكأنها كالأموات والجليد يجتاح المكان ولكن عندما قبلتها قامت من النوم ونهضت من على الفراش وطلبت مني الخروج لكي تبدل ملابسها لكي تنزل على للإفطار فخرجت من الغرفة لكي تبدل ملابسها ونزلت أبحث عن السيد جلال أسأله على الرسومات

فقال لي مكانها وذهبت لأحضرها ولكن لم أجد في الدرج الصورة التي رأيتها أمس فاستغربت الأمر وكأنني في حلم ولكن لم أهتم بالأمر لكي أفرغ من البناء وأحقق حلمي بالزواج من نوران وأخذت الأوراق وذهبت إلى المزرعة ولم أنتظر نزول نوران للإفطار معنا وصرت أعمل بكل جد ونشاط لكي أفرغ من هذا العمل وجاءت العجوز تكمل معي.

وهذه المرة قالت لي:

سيد فريد.. النهار دا هتنتهي من الشغل ولله الأمر

وصارت تردد هذه الكلمات ونحن نعمل وأنا غير عادتي لا أسأل عن شيء لماذا كنت خائفًا من شيء لا أعلمه ومر اليوم وكان طويلًا وشاقًا عليّ ولكن فرغت من البناء وانتهى الأمر كما كانت تقول العجوز ونظرت إليها بعد الانتهاء من بيوت الفلاحين

وقالت لي:

النهار ده يا ابني انتهيت من صداقتك لرفيق الموت

واتعلمت كل شيء، إن الدنيا مش بتقف على موت حد

ولا على حياة حد، الدنيا كل يوم في شأن تتغير

يوم لك ويوم عليك، وفي كل الأيام لا يصلح لنا الموت صديق أبدًا

وده الدرس اللي احنا كنا عايزين نتعلمه، ونتعلم إن ممكن الحياة تتغير حتى بعد موت أقرب الأقربين، ونتعلم منها حاجات جديدة ممكن تسعدنا

أو تحزن قلوبنا، فأنت هنا اتعلمت السعادة من جديد

حتى ولو كانت مع رفيقك.. الموت .. ودلوقتي...

إمشي.. وودع إشارات القدر.. اللي اتكتبت عليك هناك في القصر ده

وتركتنى وذهبت كعادتها دون رد على تساؤلاتي وذهبت أنا إلى القصر لكي أودع نوران والسيد جلال لأذهب إلى أبي وأمي وأخي لكي يأتوا معي لأتمم زواجي بنوران .. ودخلت القصر ووجدت السيد جلال ينتظرني هناك عند المدفئة واقتربت منه وقلت له:

سيد جلال.. أنا خلصت الشغل في بيوت الفلاحين علشان تهدأ أرواحهم عند قدوم موسم الحصاد وعلشان ميبقاش في المزرعة ريحة الموت ولا أثر الحريق

فضحك السيد جلال وقال لي:

الله أعلم ايه اللي باقي من ريحة الموت وأثره بعد كده، ودلوقتي أنا باشكرك يا ابني على اللي عملته لينا، ومد يده وأعطى لي

قطعة غريبة عليها صورة العائلة

وقال لي:

عرفت دلوقتي إن إنسان زيك قادر على فعل أي حاجة، حتى ولو لوحده! وعرفت إن الحب موجود في كل وقت، ومش بينتهي أبدًا

وإن الحياة مش بتقف إلا إذا وقف النبض في قلبك، وإن كل شيء في الكون ليه ميعاد، ومش هنقدر نهرب من الميعاد ده، حتى لو صدقنا صديقك الموت!

مافيش حاجة هتقدر تغير حاجة أبدًا إلا بميعاد من ربنا، وإشارات القدر جابتك لحد هنا، علشان تتعلم ده، وتتعلم إن الحب والحياة معًا

وجواك حتى آخر لحظة في عمرك، انت دلوقتي يا إبني.. مع ميعاد جديد مع الحياة .. وبعد أن سمعت السيد جلال طلبت منه أن أذهب وأودع نوران إلى أن أحضر أهلي وأرجع لها ثانية.

وبالفعل ذهبت إلى أعلى ودخلت غرفة نوران لكي أودعها

وقالت لي:

فريد.. الدنيا كلها ملك ليك .. أوعى تحاول أنك تفرط فيها ولا تتبع خطوات صديقك الموت أوعدني بده.. رجاءًا أوعدني

فقلت لها:

أوعدك بده يا حبيبتي .. أنا هنا اتعلمت الكتير اتعلمت إني لا أفرط في الحياة أبدًا، مهما حصل لي وإن الحب موجود في كل مكان، وإن الحياة مش هتقف بينا، إلا عند انتهاء الحياة، وده قدرنا وميعادنا من عند ربنا

ماتخافيش عليا، أنا معاكم، وانتهيت من فكرة الموت هنا، زي ما انتهيت من بيوت الفلاحين، ومن أثر الموت في كل مكان، وأوعدك يا حبيبتي

إني هارجع هنا أنا وأهلي، علشان أخلصك من هنا، ونبدأ حياة جديدة معًا

وقبلت نوران وقلبي كان يحدثني أنها القبلة الأخيرة وأنني لن أراها ثانية وخرجت من القصر ونظرت خلفي ورأيت نوران وهي تقف في شباك الغرفة لكي تلقي عليّ النظرات الأخيرة وهذه المرة رأيت العجوز تفتح لي أبواب المزرعة على مصراعيها لكي أخرج منها وأترك صديقي الموت فيها

وخرجت من المزرعة ولم تحدثني السيدة العجوز بشيء وأغلقت ورائي الباب ولكن الأغرب أني رأيت السيارة على الباب كما هي والأغرب أنها تعمل وركبت السيارة وأنا ذاهب في الطريق رأيت من بعيد بيت الجبل فذهبت إليه هذه المرة لكي أبدأ معه حياة جديدة بعد أن أحضر نوران إليه لكي تعيش فيه وتخرج من مزرعة الأموات هذه وقررت أن أحضر معنا السيد جلال ليعيش معنا هنا ويبعد عن الألم الذي يحيط به هنالك في هذا المكان

ودخلت البيت وصرت أترقب كل شيء فيه وكأنني تركته الأمس ولم يحدث شئ أبدًا

حتى زهور الياسمين ملأت المكان ورائحة الخشب تذكرني بسارة وصبا وجلست أدعوا لهما بالرحمة والمغفرة وبعدها تركت البيت لكي أرجع إلى أبي وأمي وأخي نبيل لقد اشتقت إليهم بعد كل هذه المدة

وصلت إلى البيت وطرقت الباب وبعد قليل فتحت أمي لي الباب وأخذتني بين أحضانها وهي تبكي

وتقول لي:

كنت خايفة أموت قبل ما أعرف عنك حاجة، كنت فين بقى لك سنة قلبي كان هيتحرق عليك من خوفي إن يكون حصل لك حاجة هناك وأبوك وأخوك كل يوم بيدوروا عليك في منطقة الجبل هناك، وماكنوش بيلاقوا أي حاجة عنك، كنت فين يا فريد، كنت فين طول المدة دي، كنت فين يا إبني؟

فجلست وقلت لها:

هحكيلك كل حاجة يا أميرة، ولكن لما ييجي أبويا وأخويا نبيل من برا هحكي لكم، كل حاجة في الفترة دي

وجاء أبي وأخي نبيل وصرت أروي كل ما حدث لي من أول صديقي الموت إلى أن أغلقت العجوز باب المزرعة خلفي وكاد أبي لم يصدق شيئًا مما أقول كان يعتقد أنني أصبت بالجنون، ولكن لا يقدر على أن يصدمني بهذا الأمر

وقال لي أبي: إبني فين المزرعة دي

قلت له: بعد منزل الجبل بمسافة قريبة

قال لى نبيل أخي:

أخي من يوم ما غبت عن البيت وأنا وأبوك كل يوم نروح ندور عليك في المنطقة علشان نلاقيك ومافيش هناك مزرعة، ولا فلاحين عايشة زي ما انت بتقول، لكن مافيش غير المزرعة القريبة من الجبل، ودي زي ما سمعنا مسكونة من الجن والأرواح من سنين كتير، بعد اما اشتعل بيها النار في موسم الحصاد، وماحدش دخلها بعدها أبدًا

يا نبيل:

دي المزرعة اللي كنت عايش فيها، ولكن بالفعل هي مليانة بالفلاحين ولكن في الفترة الأخيرة راحوا ماعرفش فين، وكان فيه في المزرعة قصر كبير جدًا، ملك البرنس "جلال زادة"، وإبنة المرحوم السيد "إحسان زادة" اللي كان بمثابة أخ لي وهناك برضو حبيبتي نوران

ايوا فعلًا، انا عشت معاهم سنة كاملة فقال لي أبي أثناء الحديث:

ابني الليل جيه علينا وبكرة نروح أنا وأنت وأخوك وأمك للمزرعة دي ونشوف الناس اللي انت بتتكلم عنهم ودلوقتي روح استريح من السفر وغدًا.. لله الأمر

وعندما قال أبي هذه الكلمة تذكرت العجوز التي كانت تقول لي: أنت هنا لأمر ولله الأمر ودخلت غرفتي لكي أنام ولكن رأيت نوران في حلمي وهى تذكرني بوعدي لها أنني لن أرجع إلى صديق الموت ثانية

ورأيت سارة وهي تخرجني من القصر وتذهب بي إلى بيت الجبل لكي أسكن فيه وطال بي الليل وبعدها أشرقت الشمس وذهبت لكي أخذ أبي وأمي إلى قصر السيد جلال زادة لكي أتزوج نوران

وبالفعل ذهبت أنا وأهلي إلى المزرعة لكي يروا نوران ومن يسكن هناك، ولكن عندما وصلنا إليها ووقفت بسيارتي، نزلت لكي أطرق الباب ولم أجد شيئًا وفتحت الباب ودخلت أنا وأبي وأمي

وأخي نبيل إلى المزرعة ورأيت كل البيوت الذي بنيتها فارغة من السكان، وأشرت لأبي أنني من أقمت هذه البيوت ولكن كان معي الفلاحين والسيد إحسان قبل وفاته والسيد جلال، ولكن لم أعرف إلى أين ذهب الفلاحون بعدها وعندما وصلت إلى القصر ولكن المفاجأة أن القصر كله محترق عن آخرة ودخلت القصر وقلبي يحترق هو الأخر ولم أجد شيئًا فيه سوى رائحة الموت القديمة هناك.

وصورة السيد جلال ونوران والسيد إحسان على الحائط في القصر أكلتها النار والبيانو متآكل من الحريق.

ولم أرَ شيئًا وأسرعت إلى الطابق العلوي ولكن كل شيء أكلته النار والأغرب أن مظاهر الحريق تبدو من سنوات كثيرة فصرخت وأسرعت إلى القبو ورأيت الغرفة كما هي مغلقة كما كانت وهذه المرة كسرت القفل وفتحت الغرفة ورأيت كل شيء كما رأيته في السابق

الملابس والصور والأدوات الطبية القديمة والأوسمة والأختام الملكية كل شيء كما وصفت لأبي وأمي وأخي ونزل معي الجميع ورأوا كل شيء كما رويته لهم بالتفاصيل ولكن هذه المرة جاءت العجوز زوجة العم موريس

وقالت لي ولهم:

يا ابني، كل اللي بنى البيوت دي، انت لوحدك

والغرفة اللي مقفولة دي .. مقفولة من سنين طويلة

وانت ماحدش ساعدك في المزرعة، ولكن لما ابتديت تشوف الأشياء بعينيك وضعف قوتك جيت ليك وساعدنك في الإنتهاء من البناء علشان تكمل اللي جيت علشانه ويتضح لك الأمر ولكن بالفعل المزرعة دي اتحرقت من سنين في موسم الحصاد

وأنا بالفعل كنت زوجة العم موريس، ولكن كنت برا المزرعة لما حصل الحريق، والبنت الجميلة اللي كانت بتظهر لك وتعيش معاك وتبادلك المشاعر والحب بالفعل هي الأميرة نوران

إبنة البرنس جلال زادة، صاحب المزرعة، وابنه البرنس توفى قبل موسم الحصاد بأعوام في الخارج، وكانت حادثة مؤلمة، ألزمت البرنس جلال الكرسي المتحرك وأنا لما رجعت إلى المزرعة كانت النار كلت كل شيء وبقيت هنا بعدها أروي كل يوم زهور الصبار

واستأنس بأرواحهم اللي سكنت جوايا باقي العمر

وأسكنت انت برضوا جواها وربنا ليه الحكمة في ده

من الممكن يا ابني إنك تتعلم من إشارات القدرحتى ولو كانت من الأموات وهنا.. انت سبت صديقك الموت مكانه في المكان اللي فيه دايمًا مع باقي الموتى وريحة الأموات وخرجت من هنا بحكمة انت اتعلمتها بإنك تصادق الحياة بدلًا من الموت ثانية حتى ولو كان بإسم الحب

أيوه يا ابني حتى ولو كان بإسم الحب

وعندما سمعت العجوز ذهبت إلى البيانو لكي أتلمس أثر ورائحة نوران فيه ولا أعلم أنه يوجد عليه إشارة جديدة من إشارات القدر أخذتني إليها روح نوران وكانت مكتوب عليها هذه المرة رسالة منها تقول فيها حبيبي أنت الآن على موعد مع الحياة..

"تذكر وعدك لي"

وخرجت من المزرعة أنا وأبي وأمي وأخي نبيل والسيدة العجوز أغلقت الأبواب

وهي تقول لي: هنا صديقك الموت

سيظل معي ولكن أنت الآن على موعد جديد مع الحياة ....

تمت بفضل الله